مجلة شهرية

نور يسوع المسيح ابن الله المخلص
ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ

عدد: 20 Issue No:
نيسان April 2009

جمعية نور المسيح ، رقم: ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠
Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

المسيح قام
Χριστός Ανέστη!

محتويات العدد

2 الطريق الأرثوذكسي.

3 كلمة غبطة البطريرك كيريوس كيريوس ثيوفيلس الثالث

4 بشارة الكليّة القداسة.

7 القيامة في العهد الجديد

8 تفسير القدّاس الإلهي

10 الفكر اللاهوتي للرسول بولس

11 طريق النسّاك ...

12 إمبراطوريّة روما الجديدة

14 أحد الشعانين .

16 هذا الجنس من الشياطين لا يخرج إلا بالصلاة

17 ما هو عملك؟

18 أحد توما

20 غذاء الروح الزنجي المرفوض

22 العهد القديم في الكتاب ...

23 للأولاد الأذكياء فقط

توزع هذه المجلة مجاناً

جمعية نور المسيح : كفركنا - الشارع الرئيسي

(الهي الجنوبي) ص. ب. ٦١٩ تلفاكس ٠٤/٦٥١٧٥٩١

تقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال - الناصرة

حساب رقم : 12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

إعداد وتحضير : هشام ميخائيل خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

الطريق الأرثوذكسي - فرح القيامة

المسيح قام:

بسبب أنّ المسيح إلهنا هو إنسان حقيقيّ ، لهذا مات موتاً بشريّاً تامّاً ، موتاً حقيقيّاً على الصليب. ولكن لأنّه ليسَ فقط إنساناً حقيقيّاً بل هو أيضاً إله حقيقي ، بسبب أنّه هو الحياة ذاتها ومصدر الحياة ، فهذا الموت لم يكن ولا يمكن أن يكون الخاتمة النهائيّة.

الصليب ذاته نصرة ؛ ولكن النصرة تظلّ خفيّة يوم الجمعة العظيمة، ولكن فجر القيامة تصير النصرة ظاهرة مكشوفة. المسيح قام من بين الأموات وبقيامته يحرّرنا من القلق والخوف: فهنا نتأكّد نُصرة الصليب ويظهر بوضوح أنّ الحبّ أقوى من البغضة وأنّ الحياة أقوى من الموت. اللّه الكلمة نفسه مات وقام من الأموات (لأنّه إنسان تام وإله تام) وهكذا لم يَعُد هناك موتٌ بعد. فحتّى الموت صار مملوءاً باللّه. وبسبب قيامة المسيح فلم نَعُد نخاف من أيّ ظلمة أو قوّة شريرة في الكون كلّه. وكما نُعلن في صلاة قدّاس ليلة القيامة في عظة القدّيس يوحنا الذهبي الفم:

لا أحد يخاف الموت ،
لأنّ موت المخلّص قد حرّرنا.
المسيح قام والشياطين قد سَقَطَت .
المسيح قام والملائكة تتهلّل.

هنا - مثلما في مواقف أخرى - فإنّ الأرثوذكسيّة تصل إلى الطَرف الأقصى. فنحنُ نكرّر مع القدّيس بولس: «إن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا ، وباطل أيضاً إيمانكم» (١كو١٥: ١٤).

كيف نستمر أن نكون مسيحيّين ، إن كُنّا نعتقد أنّ المسيحيّة مؤسّسة على أوهام؟ وكما أنّه لا يكفي أن نعتبر المسيح مُجرّد معلّم للبرّ ، ولم نعتبره الإله المتجسّد ، هكذا أيضاً لا يكفي أن نشرح القيامة بقولنا أن "**روح**" المسيح عاش بطريقة ما وسط تلاميذه. فالذي لا يكون "**إله حقّ من إله حقّ**" ، والذي لم يقهر الموت بموته وقيامته من بين الأموات ، لا يمكن أن يكون هو خلاصنا ورجاؤنا.

المسيح قام ... حقاً قام

نحنُ الأرثوذكس نؤمن أنّه قد حدثت قيامة حقيقيّة من بين الأموات ، أي نفس المسيح البشريّة قد عادت واتحدت بجسده البشري ، وأنّ القبر وُجِدَ فارغاً. وبالنسبة لنا نحنُ الأرثوذكس حينما ندخل في حوارات "**مسكونيّة**" ، فإنّ أحد أهم الإنقسامات وسط المسيحيّين المعاصرين هي بين الذين يؤمنون بالقيامة والذين لا يؤمنون بها. «وأنتم شهود لهذه الأمور» (لو ٢٤: ٤٨). المسيح المُقَام يُرسلنا إلى العالم لنُشرك الآخرين معنا في "**الفرح العظيم**" الذي لقيامته.

كتَب الأب ألكسندر شميمان:

﴿ المسيحيّة منذُ بدايتها كانت هي الكرازة بالفرح ، الكرازة بالفرح الوحيد الممكن على الأرض ... بدون الكرازة بهذا الفرح ، تبقى المسيحيّة غير مفهومة. الكنيسة كانت منتصرة في العالم لسبب واحد وهو أنّها كانت مملوءة بالفرح ، وهي فَقَدت العالم حينما فَقَدَت الفَرَح ، حينما توقّفت عن الشهادة للفرح. إنّ أشدّ الإتهامات الموجّهة للمسيحيّين هولاً هو الإتهام الذي نطَقَ به نيتشه حينما قال: " إنّ المسيحيين ليس عندهم فرح ... " ﴾

الإنجيل يبدأ هكذا: «هـا أنا أبشّركم بفرحٍ عظيـم ..» (لو٢: ١٠) وينتـهي هـكذا « فسجدوا له ورجعوا إلى أورشليم بفرحٍ عظيم ..» (لو ٢٤: ٥٢).

كلمة صاحب الغبطة
بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم
كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث
بمناسبة حلول عيد الفصح المجيد

غبطة بطريرك
المدينة المقدسة اورشليم
كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث

إخوتي الأحبّة بالمسيح، المسيحيّون الورعون.

الآن قد قام المسيح من بين الأموات وصارَ باكورة الراقدين ... لأنّه كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيحيا الجميع (١كو ١٥: ٢٠-٢٢).

تحتوي كلمات بولس الرسول على رسالة سرّ التدبير الألهيّ، أعني سرّ تجسّد كلمة اللّه وتأنّسه في شخص إلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح.

إنّ قيامة المسيح التي تتعلّق جوهريّاً بقيامة كُلٍّ منّا ، تُشكّل سبب وجود وتأسيس كنيستنا المقدّسة التي فيها وبها يصير حَدَث قيامة مخلصنا يسوع المسيح، آدم الجديد مُدْرَكاً بطريقة عمليّة.

هوذا كيف يُفَسِّر أبو الكنيسة القدّيس يوحنّا الذهبي الفم بوضوح ودقّة وبطريقة كتابيّة مقدّسة سرّ قيامة الإله الإنسان المسيح ..

هوذا إذاً أشرَقَ لنا العيد الخلاصي المُنتَظَر له بشوق يوم قيامة ربّنا يسوع المسيح. (أشرَقَ) هذا العيد الذي هو أساس السلام، وسَبَب التسامح، وإلغاء الحروب، وإبادة الموت، وهزيمة الشيطان. اليوم اختلط الناس بالملائكة وهؤلاء الذين يلبسون جسداً يُرسلون تسابيح (إلى المسيح) مع القوّات غير الهيوليّة.

اليوم يَبطُل ظُلم الشيطان. اليوم أُلغيَت رباطات الموت وسلطة الجحيم اختفت. اليوم تُعطى لنا الفرصة لأن نهتف بتلك الجملة النبويّة «أينَ شوكتك أيّها الموت، أين ظَفَرُكَ أيهها الجحيم».

اليوم أخفَى وأبادَ سيّدنا المسيح وجه الموت. وماذا أقول وجه؟ وقد غَيَّرَ اسمه ولا يُدعى موتاً بل رُقاداً ونوماً . لأنّه قَبل ظهور (تأنّس) المسيح وارتضائه للتضحية والفداء على الصليب، واسم الموت هذا كان مُخيفاً ... لكن بما أنّ المسيح إلَهنا قَدَّم ذاته ضحيّة، ومنحنا سيِّدُنا مُحِب البشر هِبات القيامة، وَهَبَ طريقة حياة جديدة ومجهولة (غريبة) إلى حياتنا. وهكذا إذاً بدلاً من الموت يُسَمّى الرقاد والموت هناك إنتقالاً.

ومن أين يُصبح هذا واضحاً؟ إسمع ما قاله المسيح ذاته. «لَقد رَقَدَ أخونا لعازر ولكنني أذهب لأوقظه»(يو ١١: ١١) ...

اليوم (بقيامة المسيح) تحقّقت جوائز الظَفر المُشرقة. اليوم أماتَ سَيِّدُنا الموت بالموت وأبطَلَ ظُلمَ الشيطان ومنحنا بقيامته طريق الخلاص.

إذاً نفرحُ جميعاً ونمتلىء بالسرور الإلهيّ. لأنّه طالما أنّ سيّدنا **إنتَصَرَ** على الموت ونَصَبَ رمز الظَّفَر ، لذلك ينبغي أن تكون بهجتُنا وفَرَحُنا مشتَرَكَيْن. طالما أنّ «**المسح**» فعَلَ كلّ شيء لأجل خلاصنا...

اليوم هو يوم قيامة الربّ المُشرق، والملائكة يبتهجون وكل القوّات السماويّة تفْرَحُ بخلاص جنس البَشر.

إذاً إذا كان «بتوبة وعودة الخاطىء يصير فرحٌ في السماء» (لو١٥: ٧). يصير على الأرض فرَحٌ أعظَم لأجل خلاص المسكونة.

اليوم يوجَد فرحٌ وبهجة روحيّة في كلّ المسكونة. اليوم جمهور الملائكة وكلّ جوقة القوّات السماويّة تتهلّل وتفرح لأجل خلاص البشر.

أذاً فلنبتهج نحنُ أيضاً أيّها الأخوة لمحبّة سيّدنا، لأنّه صنا خالدين بقيامته، وقُمنا من سقطتنا بدلاً من أن نكون ونبقَى مائتين.

المسيح قام

المسيح سلام العالم

الداعي بالرب

البطريرك ثيوفيلس الثالث

بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

بشارة الكلية القداسة
سيدتنا والدة الإله الدائمة البتولية مريم
عظة للقدّيس غريغوريوس بالاماس رئيس أساقفة ثِسالونيكي

طروباريّة العيد باللحن الرابع :

« اليوم رأس خلاصنا ، وظهور السرّ الذي منذ الدّهور ، فإنّ ابنَ اللّه يصير ابن البتول وجبرائيل بالنّعمة يُبشِّر . لذلك نحنُ معه فلنهتف نحو والدة الإله : إفرحي أيّتها الممتلئة نعمة ، الربّ معك» .

ذكصا كينين الإينوس باللحن الثاني : « اليوم ينكشف السرّ الذي قبل الدهور ، وابن اللّه يصير ابن البشر ، لكي باتّخاذه الأدنى يَهَبني الأفضل . لقد خاب آدم قديماً ، فلم يَصر إلهاً كما اشتهى ، فصار الإله إنساناً ليصير آدم إلهاً . فلتبتهج الخليقة ، ولتتباشر الطّبيعة ، لأنّ رئيس الملائكة انتصب لدى العذراء باحتشام ، وقدّم لها الفرح عوَض الحُزن ، فيا إلهنا الذي تأنّس لجزيل رحمته ، المجد لَك» .

القديس غريغوريوس بالاماس — بشارة والدة الاله الكلية القداسة

المقدّمة:

إنَّ النبيّ والـمُرنِّم الذي عدَّدَ أنواع الخليقة، وكَشَفَ عن حكمة اللّه فيها، صَرَخَ مُعْجباً بكلّ ذلك: «ما أعظم أعمالك يا ربّ ، كلّها بحكمة صنعت» (مز ١٠٣:٢٤). وأنا أودّ، في هذا المقام، أن أعبِّر، قدرَ استطاعتي، عن ظهور الكلمة بالجسد، وهو الذي خَلَقَ الأشياء كلّها.

وأيّ كلام يفي بالتسبيح؟! إن كانت الخليقة مملوءةً عَجَباً، وقد صارت من العَدَم، فهذا ممّا يستحقُّ الحمد، وهو من صُنع اللّه. فكم بالأحرى عجيبٌ وإلهيٌّ ومستحقٌّ التّمجيد أكثر، أنَ نرى كائناً إلهيّاً، لا بل اللّه نفسه، مُقترناً بطبيعتنا التي لم تستطع قبلاً، أو لم تُرِد، أن تحفظ طبعها الأوّل، لذلك ذهبت بعدلٍ إلى أسافل الأرض!

إنّه لأمرٌ عظيمٌ وإلهيّ لا يوصف ولا يُدرك، أنّ طبيعتنا أصبحت مُتألّهة، وعن طريقها عُدنا إلى الأفضل بطريقة سرّيّة مع الملائكة القدّيسين، والبشر الذين منهم الأنبياء، ومع أنَّ هؤلاء يَرَون عن طريق الرّوح. إنّ هذا السرّ غير مُدرَك، خفيٌّ منذ الدّهور. لقد كان خفيّاً قبل التجسّد، أي قبل أن يَصير ، وبعد التجسّد، أي بعدما صار، سيبقى خفيّاً أيضاً من ناحية كيفيّة صيرورته. إنّه سرٌّ نؤمن به ولا ندركه، نسجد له ونؤمن به عن طريق الرّوح فقط: «لأنّه لا يستطيع أحدٌ أن يقول إنّ يسوع ربٌّ إلاّ بالرّوح القدس» (١كو١٢:٣). وبالرّوح القدس نسجد ونُصلّي، كما يقول الرسول بولس: « لسنا نعلم ما نُصلّي من أجله كما ينبغي، ولكنّ الرّوح نفسه يشفعُ فينا بأنات لا يُنطَق بها» (رو٨:٢٦).

سرّ التجسّد:

ما يؤكّد على أنّ **هذا السرّ ، سرّ التجسّد، يبقى غير مُدرَك عند البشر، وحتّى عند الملائكة ورؤساء الملائكة**، هو الحَدَث الذي نُعَيِّد له اليوم (لو١:٢٤-٣٨).

لقَد بَشَّرَ رئيس الملائكة العذراء بالحبل، وعندما سألت عن الطّريقة وقالت له: «كيف يكون هذا وأنا لستُ أعرف رجُلاً» (لو١:٣٤)، لم يجد رئيس الملائكة أيَّة طريقة ممكنة لتفسير الطريقة، فالتجأ إلى اللّه قائلاً: «الروحُ القدس يحلُّ علَيك، وقوّة العليّ تُظَلِّلُك » (لو١:٣٥). ذلك كما لو أنّ أحداً سألَ موسى: كيفَ خُلقَ الإنسانَ مَن الأرض؟ كيف ينشأ من التّراب عظمٌ وعصبٌ ولحمٌ؟ كيفَ يُخلَق ما يُحسُّ من مادّة عديمة الإحساس؟ وكيف من الجنب الآدميّ يُفصَلُ عظمٌ ويُوحَّد في جسم له أحشاء وأعضاء مختلفةٌ وما إلى ذلك؟ لو سُئِلَ موسى، لاكتفى، في جوابه،بأنّ اللّه هو الذي أخذَ من التراب وجَبَلَ آدم، ومن جنب آدم صنعَ حوّاء؛ ذلك أنّه يستطيع أن يكشف عن الخالق من هو، ولا يمكنه أن يعرف الطريقة التي بها صُنِعَت الأشياء؟

الأمر نفسه مع الملاك جبرائيل، يقول : إنّ الحَبَل صارَ من الرّوح القدس، وبقوّة العليّ، دون أن يقول كيف. وكذلك عند حبل أليصابات في شيخوختها، وبعد عُقرها، لم يقل رئيس الملائكة سوى أنّه لا شيء غيرُ مُستطاع عند اللّه. فكم بالأحرى الآن، وقد حصلَ الحبلُ بطريقة عُذريّة (بدون رَجُل)، ماذا يستطيع رئيس الملائكة أن يقول عن طريقة الحبَل ؟!

ثمّة ما يُقال، فوقَ ذلك، على كلام رئيس الملائكة جبرائيل وبشارته للعذراء، ممّا يتضمّن سرّاً أعظم. إنّه يقول: «الروحُ القدس يحلُّ عليك، وقوّة العليّ تُظَلِّلُك » (لو١:٣٥). لماذا؟ لأنّ الصّائرَ ليسَ نبيّاً، ولا مُجَرّد إنسان، كما كان آدمُ، بل دُعِيَ ابنَ العليِّ مُخَلِّصاً وفادياً لجنس البشر، ومَلك الدّهور.

إذا وقعت الحجارة من أعلى الجبل وتدحرجت إلى المُستقرّ، تتبعها حجارةٌ أخرى؛ وهكذا نحنُ البشَر سقطنا من الوصيّة الإلهيّة ونزلنا من الفردوس إلى الجحيم، فتوالت علينا شدائدُ كثيرة. فليسَ أنّ الأرض أنبتت أشواكاً وعوسجاً حسّيّاً وحسبُ، وفقَ اللعنة التي نَزَلَت على أبي الجنس البشريّ، بل نحنُ أيضاً تشتّتنا بالأشواك المُتعدّدة الأنواع، **أشواك الأهواء الشرّيرة**، وعوسج الخطيئة الرّهيب. وليسَ أنّ جنسنا تلقّى ذلك الحزن الذي ورثَتْهُ حوّاء فقط، عن طريق اللّعنة ، بأنّها سوف تلدُ بالأحزان، بل حياتُنا كلّها أصبحت شقاءً وحُزناً ووجعاً.

لكنّ اللّه الذي جبلنا برأفته ، تطلّع إلينا بمحبّته للبشر، وبعد أن أحنى السّماوات، نَزَلَ وأخَذَ طبيعتنا من العذراء القدّيسة، وأعادها، أو بالأحرى أصعَدَها إلى العلوّ الإلهيّ والسّماويّ. ذلك أنّه يُريد أن يُتَمِّم مشيئتهُ التي كانت قبل الدهور ؛ لذلك، أرسل رئيس الملائكة جبرائيل، كما يقول الإنجيليّ لوقا: « وفي الشهر السادس، أُرسِلَ الملاك جبرائيل من قِبَل اللّه إلى مدينة في الجليل اسمُها النّاصرة، إلى عذراء مخطوبةَ لرَجُل اسمه يوسف، من بيت داود، واسم العذراء مريم » (لو ١:٢٦-٢٧).

الحبلُ بلا زرع:

إذاً، لقد أرسَلَ اللّه رئيس الملائكة إلى العذراء، وجعلها أُمَّهُ بمجرّد الإعلان ، ولبثت عذراء. فلو حُبلَ بها بزرع لما كانَ إنساناً جديداً، ولا كان بغير خطيئة ومُخلّص الخطأة. لأنّ حركة الجسد من أجل الولادة، رُغمَ كونها غير خاضعة للذهن (النُّوس) الذي يُفترض به أن يَرئسَ حركاتنا كُلّها، لا توجد كُليّاً خارج تأثير الخطيئة. لذلك كان داود يقول: «بالآثام حُبلَ بي، وبالخطايا ولدتني أمّي» (مز٥٠:٧). لو كان حبل اللّه بزرع، لما كان إنساناً جديداً ، ورئيساً لحياة جديدة غير مُلطَّخة أبداً بالعتاقة. لو كان من النصيب القديم، ووارثاً لتلك الزّلة، لما استطاع أن يحمل في ذاته كمال الألوهة غير الفاسدة، ويجعل من جسده تقدّيساً لا ينضُبُ. أمّا الآن، فيمكنه أن يُطَهِّر دنس أولئك الأجداد، وأن يُقدِّس أبناء جنسهم.

لذلك، لم يأت ملاكٌ ولا إنسانٌ، بل الرّبّ نفسهُ أتى وخلّصنا. هو الذي حُبلَ به **وتَجسّد في بطن العذراء، وبقي إلهاً دون تغيير**.

كان لا بُدّ من أن يجعل العذراء شاهدةً على الحبل بدون زرع، وعاملةً معه فيما كان ينبغي أن يتمَّ بحسب التّدبير. ما هي هذه الأشياء؟ الصّعود إلى بيت لحم، حيثُ تمّت الولادة المجيدة المُعلَنُ عنها ؛ الدّخول إلى الهيكل، حيثُ شَهِدَ سمعان الشّيخ وحنّة النبيّة للطّفل أنّه سيّد الحياة والموت؛ الهرب إلى مصرَ، من وجه هيرودس، والعودة من مصرَ، بحسب النّبوءات الشريفة؛ وغيرها، ممّا يَصْعُب تعداده في هذا المجال. لذلك، اتُّخِذَ يوسُف خطيباً، وأُرسِلَ ملاكٌ إلى عذراء مخطوبة لرجل اسمه يوسف. الآية «من بيت داود» (لو١:٢٧)، تتوجّه إلى الإثنين معاً، لأنّ يوسف والعذراء كليهما من نسل داود.

مريم:

«واسم العذراء مريم» (لو ١:٣٧). فمن ناحية الإسم «مريم»، تفسيره «السيّدة» (الأميرة)، وفيه إشارةٌ إلى صفة أساسيّة للعذراء. ومن ناحية الصّفة «العذراء» . ففيها تأكيدٌ على العُذريّة، وعلى طهارة عيشها الكاملة. فقد أُعطيَت صفة العُذريّة مُلازمةً لإسمها، دلالةً على حيازتها على كمال الطّهارة. لقد كانت عذراء نفساً وجسداً، حاويةً القوى النفسية، مع حواسّ الجسد كُلّها، مُنزّهة عن كلّ دنس. كلُّ ذلك باستمرار ونباهة. فكما أنّ البّاب المُغلَق يَحفظ الكنوز، والكتاب المختوم يُحافظ على المكتوب بعيداً عن الأعين، هكذا ذُكرَ عنها أنّها الكتاب المختوم والبّاب المُغلَق الذي لا يستطيع أحدٌ أن يَعبُر منه (حز٤٤:٢).

ومن جهة أخرى، العذراء سيّدةٌ لأنّها مُعتقةٌ من كلّ عبوديّة ومشتركةٌ في السّيادة الإلهيّة وحسب، بل لأنّها صارت نبعاً وأصلاً لحريّة الجنس البشريّ كُلّه، بعد ولادتها العجيبة المُفَرِّحة. فقد حَبلَت وبَقيَت عذراء؛ وَوَلَدَتْ بطريقة إلهيّة مَن هو بطبيعته سيّد الكُلّ. لأنّ التي تتزوّج رجُلاً هي خاضعة لا سيّدة، لا سيّما بعد الولادة بالأوجاع، حسب لعنة حوّاء: «سوفَ تلدين بالأوجاع وتتبعين رَجُلَك وهو يسودُك» (تك٣:١٦). فلكي تُحرِّر الأُمُّ العذراءُ الجنس البشريَّ من هذه اللعنة، اقتبلت الفرح والبَركة من الملاك؛ لأنَّ هذا الأخير قال عند دخوله إليها: «السلام عليك أيّتها المُنعَم عليها، الرّبّ معك، مباركةٌ أنت في النساء» (لو١:٢٨). ففي قوله لها «الربّ معك» لم يُبَشّرها بالمستقبل ، بل أعلن أنّه يرى بصورة غير منظورة السرَّ يتحقّق. كان يعلم أنّها مَحَطَّ المواهب الإلهيّة والبَشريّة، وأنّها مُزَيّنةٌ بكُلّ عطايا الروح القدس؛ لذلك قال لها حرفيّاً: «يا ممتلئةً نعمةً». وبما أنّهُ رأى أنّها اتّخذت ذلك الذي يَحوي الكنوزَ كُلَّها، تنبّأ لها بالحَبَل بدون ألم، وبالولادة بدون أوجاع، مُلقياً السّلام عليها وقائلاً: «**إفرحي**»، ومؤكّداً أنّها وحدها المُباركة والمُمجّدة بين النساء. فما من إمرأة سواها، مهما تمجّدت، يُمكنها أن تنال المَجدَ الفائقَ الذي للعذراء والدةِ الإله.

لكنّ العذراء راحت تُفكّر، خشيَةَ أن يكونُ ملاكاً غاشّاً مُضلاً، كالذي أضَلَّ حوّاء، فَلَمْ تَتلَقَّ السَلامَ قَبلَ أن تفحصه. وبما أنّها لم تكن بعدُ قد تيقّنت من صلَة ذاك المُعلَن عنه باللّه، اضطربت من قوله، مُصرّةً على البتوليّة: «وفكّرت ما عسا أن يكون هذا السلام» (لو١:٢٩). فَحَلَّ رئيسُ الملائكة ، فوراً، الخوف الشّريف الذي كان عند العذراء المُمتلئة نعمةً؟ وقالَ لها: «لا تخافي يا مريم فإنّك قَد نلت نعمةً لدى اللّه» (لو١:٣٠). أي نعمة؟ تلك التي لا يقدر أن يُعطيها إلاّ ذاك الذي يعملُ ما هو غير مُستطاع، وقد احتفظ بنفسه لَك منذُ الدهور. «ها أنت تحبلين» (لو١:٣١). عندما تسمعين بالحبَل، لا تتفكّري بأيِّ ابتعاد عن البتوليّة. لا تقلقي ولا تضطربي ؛ فعبارةُ «تحبلين» قيلَت لَكِ وأنتِ عذراء، **فأظهرتِ الحبَل مُرافقاً للبتوليّة**.

يسوع:

«وها أنت تحبلين وتلدين ابناً وتُسمّيه يسوع» (لو١:٣١). أي تبقينَ عذراء كما أنت اليوم، وتحبلين بجنين، ثُمَّ تلدين ابن العليّ. هذا ما سَبَقَ أن رآه إشعيا قبلَ سنين عديدة، عندما كان يقول: «ها إنّ العذراء تحبلُ وتلدُ ابناً» (إش٧:١٤)، «وَدَنَوتُ من النبيّة فحملت وولَدت إبناً» (إش ٨:٣). كيفَ دنا من النبيّة ؟ هكذا، كما يفعلُ الآن رئيسُ الملائكة مع العذراء مريم ، لأنّ الذي يراهُ الآن قد سَبَقَ أن رآه إشعيا قديماً وأنبأ به. العذراء نبيّةٌ، لأنّها كانت حاصلةٌ على موهبة النّبوءة. وهذا ما تُشيرُ إليه الأنشودة الواردةُ في الإنجيل (لو ١:٤٦–٥٥) « ... فها منذ الآن تُطوِّبُني جميعُ الأجيال ...».

يقول إنّ إشعيا دنا من النبيّة، ولا شكّ أنّه يقول ذلك برؤية مُسبَقة، وحَبِلَت بالإبن. وقبلَ أن يأتي ألَمُ المخاض، ذهَبَت وولدت إبناً ذَكَراً. أمّا رئيس الملائكة فيقولُ للعذراء: «تلدين ابناً وتُسمّينه يسوع. هذا سيكون عظيماً». يسوع معناه «**المُخَلِّص**». قالَ عنه إشعيا: «مُشيراً عجيباً، إلهاً قويّاً، مُسلّطاً، رئيس السَّلام، آب الدهر الآتي» (إش٩:٦)؛ والآن يقول رئيسُ الملائكة: «سيكونَ عظيماً وابنَ العليّ يُدعى». أمّا التسويفُ في قوله «**سيكون**» فيشير إلى الطبيعة البشريّة للمسيح. وأمّا العظمة فإشارَةٌ إلى أنّ الكُلّ سوفَ يعرفُهُ، وأنّ الكرازة به ستكون في كلّ مكان. وبهذا المعنى قال الرسول بولس: «اللّه ظهر في الجسد ... كُرِزَ به بين الأمم، أوْمِنَ به في العالم» (١تي٣:١٦).

وتابعَ جبرائيل : «وسيُعطيه الربّ الإله عرش داود أبيه، ويملكُ على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لملكه إنقضاء» (لو١:٣٢٠٣٣). الذي لا نهاية لمُلكه هو اللّه. أمّا جعلُ داوَدَ أباً له، فمرتبط لطبيعته البشريّة. **هذا المولود هو إذاً ، إلهٌ وإنسان. هو ابنُ الإنسان وابن اللّه.** كإنسان يأخُذُ المُلكَ من اللّه الآب، كما سَبَقَ أن رأى دانيالُ وأنبأ: «ورأيتُ في رؤى الليل، فإذا بمثل ابن البشر آتياً على سحاب السماء، فبلَغَ إلى القديم الأيام، وقُرِّبَ إلى أمامه، وأُوتيَ سُلطانٌ أبديٌّ لا يزول، ومُلكُهُ لا يَنقَرِض» (دانيال ٧:١٣–١٤).

سيجلسُ على عرش داود ، وسيملكُ على بيت يعقوب: لأنّ يعقـوبَ هو أبو المؤمنين كُلِّهم ؛ وداود هوَ أوَّل مَنْ مَلَكَ بطريقةٍ تَسُرُّ اللّه. فالمسيح جَمَعَ في شخصه الأبوَّةُ والمُلْك.

* * *

عندما سمعت العذراء الكلام الإلهيّ الذي تفوّه به رئيس الملائكة، أنّ الربّ معها، وأنّها سوفَ تَحبَلُ وتلد إبناً، قالت: «كيفَ يكون هذا، وأنا لا أعرف رَجُلاً؟!» (لو١:٣٤). أنتَ تأتيني بعلامة روحيّة، تفوق الأهواء الجسديّة، وتَذكُرُ حَبَلاً في البطن وولادةً ، قارناً كلامكَ بـ «ها أنت». فكيفَ يكون هذا، وأنا لا أعرفُ رجُلاً ؟

هذا ما تقوله العذراء، لا من باب عَدَم الإيمان، بل من باب الأستيضاح. لذلك أجابَها رئيس الملائكة: «الروح القدس يحلّ عليك وقوّة العليّ تُظَلّلك، ولذلك فالقُدُّوس المولود منك يُدعى ابنَ اللّه» (لو١:٣٥–٣٦): أنتِ قدّيسةٌ ومُمتلئةٌ نعمةً، وسيأتيك الرّوح القدس ليهيء ويُنجزَ العملَ الإلهيّ فيك بقداسة عُلويّة إضافيّة. وستُظَلّلُك قُدرةُ العليِّ التي ستُقوّيك، وبفضل ظلِّها وقُوّتها يتكوّن في بطنكِ مَن هو، بطبيعته الإنسانيّة، قدّوس، ابن اللّه، قُدرةُ العليّ. لا تستغربي، فلا شيء غيرُ مستطاع عند اللّه ؛ وكمثال على ذلك، ها أليصاباتُ، نسيبتُك، التي كانت فيما مضى عاقراً، قد حَبِلَتْ» (لو١:٣٦).

ماذا فَعَلت العذراء الحكيمة والعجيبة بعد ذلك؟ أسرعت من جديد إلى اللّه. إلتجأتْ إليه، مُصلّيةً، وقائلةً لرئيس الملائكة: إن يأتني الرّوحُ القدس كما تقول، فليُطهّرني كثيراً، وليقوّني من أجل اقتبال الجنين الإلهيّ الخلاصيّ. إنّ تُظَلّلني قُوّةَ العليّ التي سوف تُكَوِّنُ فيَّ بحسب الطبيعة الإنسانيّة، ابن اللّه، مُسَبِّبَةً ولادةً بلا زرع، وإن كان المولود ابن اللّه، قدّوساً، إلهاً، وملِكاً أبديّاً، فحينذاك بالتأكيد، لا شيء غير مستطاع عند اللّه. «ها أنا أمَةٌ للرّبّ، فليكن لي بحسب قولك» (لو١:٣٨). فمضى الملاك من عندها، تاركاً في بطنها صانعَ الكون مُتّحداً بجسد، ليُتمَّ بهذا الإتحاد، خلاص العالم.

لقد شاهَدَ إشعيا قديماً هذا الأمر بعين الرّوح وصَوَّرَهُ، وذلك حين رأى السّارافيم يتناولُ الجمرةَ من المذبح العقليّ السماويّ، ويُلامس بها شفتيه ليُطَهِّرَهُ. ونجدُ صورةً مشابهةً، هي العلّيقةُ المُشتعلة وغيرُ المُحترقة التي عاينها موسى.

مَنْ ذا الذي لا يعرفُ أنّ تلك العُلّيقة وهذه المَلْعقة (أو الملقط) ليستا سوى الأم العذراء التي حَبِلَت في بطنها بالنّار الإلهيّة دون أن تحترق؟! لقد كان رئيس الملائكة واسطة الحَبَل ؛ إذ اتّحَدَ في العذراء رافعَ خطيئة العالم بالجنس البشريّ، وبهذا الإتّحاد طُهّرنا.

لذلك، **فهذه الأمّ العذراءُ هي وحدها مَحَطُّ الطّبيعة المخلوقة وغير المخلوقة**. كُلُّ مَن عَرَف اللّه يَعْرِفها «المكان الذي يَسَعُ غيرَ الموسوع» التي سوفَ تُطَوِّبُها جميع الأجيال التي تُسَبِّح اللّه. هي سببُ الخيرات التي كانت والتي سوفَ تكون، الخيرات الأبديّة. هي موضوع الأنبياء، مبدأ الرّسل، قاعدةُ الشهداء، مُلهِمَةُ المُعَلّمين، زينةُ الخليقة كُلِّها، مَجدُ القدّيسين، بهجة السّماويّين. هي البداية، المصدرُ، جَذْرُ رجائنا المُذَّخَرُ في السّماوات.

وما نرجوه هو شفاعتها لدى مجد المولود من الآب قبل الدهور، والمُتَجَسِّد في آخر الأزمان، يسوعَ المسيح ربّنا، الذي لهُ ينبغي المجدُ والكرامةُ والسجود، الآن ،كُلّ أوانٍ، وإلى دهر الدّاهرين. آمين.

القيامة في العهد الجديد

أيقونة القيامة في كنيسة خورا للروم الأرثوذكس في مدينة روما الجديدة، القسطنطينيّة.

خُلِقَ الإنسان على صورة اللّه وهو كائن مخلوق للحياة الأبديّة. وينظرَ المخلّص إلى الإنسان ككائن عديم الموت شوّهه الموت ليجعله فانياً، فصار المطلوب شفاءه وإنقاذه من الموت بمنحه عدم الفساد والحياة الأبديّة. وكلّ شيء في الإنجيل يعالج هذه المسألة: كيف بالإمكان أن يحصل الإنسان على عدم الفساد والحياة الأبديّة ؟ بإمكاننا القول أنّ بشارة المسيح هي بشارة الحياة الأبدّية للإنسان. هي بشارة بحياة تبدأ من ههنا على الأرض لتمتدّ إلى العالم الآخر. تَجَسَّد المخلّص ليقضي على الموت ويضيء حياة الإنسان في العالَمين، في العالم الأرضي كما السماويّ (راجع ٢ تم ١، ١٠). وما حياتنا على الأرض هنا سوى الأساس الذي نبني عليه حياتنا الأبديّة (١ تم ١٩،٦). لم تكن القيامة مجهولة في زمن العهد الجديد ولكنّها كانت باهتة كما نستدل من حديث مريم ومرتا مع المسيح حين عَبّرَتا عن إيمانهما أن أخاهما سيقوم في اليوم الأخير.

تباشير القيامة في أقوال المخلّص وأفعاله:

أ ـ حوادث إقامة أموات : لقد عرف العهد الجديد، على غرار العهد القديم، حوادث مختلفة جرت فيها إقامة أجساد راقدين على يد المسيح قبل موته وقيامته، كما في حادثة إقامة ابنة رئيس المجمع يائيرس (مر ٥:٤١-٤٢ ، لو ٨:٥٤-٥٥). وفي حادثة إقامة ابن أرملة نائين (لو٧:١١-١٧)، وأخيراً في إقامة لعازر (يو١١:١-٤٤). وقد شكّلت إقامة هذا الأخير حدثاً عظيماً لأن كان له في القبر أربعة أيّام وقد «أنتن».من جهة أخرى، يشير الإنجيل إلى قيامة قدّيسين لما أسلم يسوع الروح على الصليب: « القبور تفتّحت وقام كثير من أجساد القدّيسين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدّسة وظهروا لكثيرين». (متى ٢٧:٥٢-٥٣).

ب ـ إقامة الأموات علامة المسيّا: كانت إقامة الموتى تشكّل إحدى العلامات التي تشير إلى المسيّا، وهي كانت محور شهادة المسيح عن نفسه ردّاً على سؤال يوحنا المعمدان بواسطة تلاميذَيه: « أأنتَ الآتي أم ننتظر آخر» ، فأجابهما يسوع: «إذهبا وأخبر يوحنا بما

تسمعان وتنظران، العمي يبصرون، العرج يمشون، البرص يُطهّرون، الصمّ يسمعون والموتى يقومون والمساكين يُبَشَّرون» (متى ١١:٢-٥).

ج ـ الإنباء بالقيامة للتلاميذ ولليهود: هيّأ المسيح تلاميذه وأنبأهم بآلامه وموته وقيامته بشكل صريح ثلاث مرّات: في قيصريّة فيلبس، بعد إعتراف بطرس الشهير به (مر٩:٣١)، ثم بعد تجلّيه على جبل ثابور (لو٩:٤٤) ومن ثمّ عند صعوده الأخير مع تلاميذه إلى أورشليم (مر١٠:٣٢-٣٤)، « وبدأ يعلّمهم أنّ ابن الإنسان يجب عليه أن يعاني آلاماً شديدة وأن يرذله الشيوخ وعظماء الكهنة والكتبة، وأن يُقتل، وأن يقوم بعد ثلاثة أيّام» (مر٨:٣١-٣٣). كان القصد من ذلك تهيئة التلاميذ وإظهار أن الأحداث التي ستجري تتمّ بسابق معرفته وهو مقبل عليها طوعاً، « لا مُجبراً عليها ولا جهلاً بها» كما يقول **القدّيس يوحنا الذهبي الفمّ**. لكن التلاميذ لم يفهموا «ما هي القيامة من بين الأموات» (مر٩:١٠). كما عبّروا عن ذلك بعد الإنباء الثالث لما طلب يسوع من بطرس ويعقوب ويوحنا عدم البوح لأحد عن تجلّيه إلاّ بعد قيامته من بين الأموات.

هناك تلميحات كثيرة في الأناجيل على لسان المخلّص بشأن قيامته، لم تُفهم حينها كذلك ولكن قيامته ألقت الضوء عليها بشكل جليّ. فقد أشار إلى قيامة جسده حين قال لليهود: « أنقضوا هذا الهيكل وأنا في ثلاثة أيام أقيمه (...) أما هو فكان يقول عن هيكل جسده» (يو٢:١٩-٢١). ومن ناحية أخرى، تحدّث عن نزول نفسه إلى الجحيم وصعوده منها في خطابه إلى تلاميذه: « لأني أضع نفسي لآخذها أيضاً (...) لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً » (يو١٠:١٧-١٨). وأخيراً تناول حدث القيامة نفسها ككلّ لما رفض أن يعطي آية لليهود: « جيل شرير فاسق يطلب آية ولا تُعطى له آية إلاّ آية يونان النبيّ. لأنّه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيّام وثلاث ليالي هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيّام وثلاث ليالي» (متى ١٢:٣٩-٤٠). وهو اعتبر أيضاً سكب الطيب عليه في بيت سمعان الأبرص كرازة مستترة بالقيامة: « دعوها، فقد عملتْ لي عملاً صالحاً (...) وقد عملت ما في وسعها فطيّبت جسدي سلفاً للدفن. الحق أقول لكم حيثما يُكرز بهذا الإنجيل في كلّ العالم يُخبر أيضاً بما فعلته هذه تذكاراً لها» (مر١٤:٦-٩). فإنّ النسوة لن يتمكنّ من تطييب جسده يوم الأحد إذ أنّه سيكون قد قام. الفرصة الوحيدة المتوفرة هي بالفعل تلك التي سبقت آلامه.

تفسير القدّاس الإلهي

الأب المتوحّد غريغوريوس (الجبل المقدّس - جبل آثوس)
تعريب الشمّاس سلوان موسي - دير سيّدة البلمند البطريركيّ

تتمة من العدد السابق

ويجيب المؤمنون قائلين : آمين

وإعلان الكاهن المجيد هذا يختمه المؤمنون قائلين: آمين. هكذا فالمؤمنون بجوابهم هذا، يقتبلون من جهة الحقيقة المحتواة في إعلان الكاهن ويبشّرون بها، ويُعبّرون من جهة أخرى بصلاتهم عن توقهم إلى تذوّق خيرات ملكوت الثالوث القدّوس.

ويورد البّار نيقولاوس كاباسيلاس أنّ المؤمنين "يجيبون بآمين، وعلى هذا النحو يجعلون خاصتهم كلّ طلبات الكاهن". ويكتب القدّيس كيرلّس بطريرك الإسكندريّة أنّ "آمين" تعني: "أنّه من خلال نعمة الكهنة يكمل كلّ نقص قد يرد عند المشاركين في القدّاس، وأنّ اللّه يقتبل الصغار مع الكبار داخل وحدة الروح القدس". وبموافقة الشعب، ترتفع البركة الكهنوتيّة إلى المذبح السماويّ. المؤمنون فاعلون ومشاركون مع الكاهن. والقدّاس الإلهيّ في كلّ لحظة يحقّق معناه: إنّه عمل كلّ الشعب.

> **الشماس**: بسلام إلى الربّ نطلب.
> وعلى كلّ طلبة يجيبه الشعب: يا ربّ ارحم.

هذا السرّ هو سرّ سلام

مباشرة بعد مجدلة مملكة اللّه، تعلّمنا كنيستنا المقدّسة طريقة الصلاة الليتورجيّة: "لنطلب بسلامٍ إلى الرب".

الطريق الذي يؤدّي إلى القدّاس الإلهيّ هو سلام النفس. من دونه لا نستطيع أن نَلِج إلى القدّاس: "الذهن الخالي من سلام الأفكار لا يتحرّك نحو الأسرار المحتجبة... وبقدر ما يهدأ القلب... يستطيع الذهن أن ينجذب نحو الأمور الإلهيّة والإندهاش بها" (القدّيس إسحق السرياني).

لكن سلام النفس الحقيقيّ يُقدَّم هناك حيثُ تُجرى خدمة الأنافورا المقدّسة أي على المذبح السماويّ. "السلام الحقيقيّ عُلويّ هو"، كما يقول القدّيس باسيليوس الكبير. نبلغ ذلك المكان العلويّ بسلام: "أُطلب السلام... إقتَنِ ذهناً صافياً ونفساً لا يعروها الإضطراب والتخبّط، ولا تتقاذفها الأهواء... كيما تقتني سلام اللّه الذي يفوق كلّ عقل ويحفظ قلبك". وحسَب القدّيس مكسيموس، فإنّ كون الإنسان على صورة اللّه يعني أنّ الطبيعة البشريّة قد جُبِلَت "سلاميّة، لا تشترك في حرب، ولا تعرف إستقراراً، مشدودة إلى اللّه وإلى نفسها بالمحبّة". يتنعّم الإنسان بالسلام كموهبة من اللّه، فيعيش قرب الواهب ويسلك سيرة الفضيلة. "لأنّ ما من شيء آخر عادة يهب السلام بغزارة للنفس مثل معرفة اللّه واقتناء الفضيلة". (القدّيس يوحنا الذهبي الفم).

الخطيئة حملت إلى داخل الإنسان والعالم الإضطراب والجلبة "لأنّ الشرّ بطبيعته يجزّىء، وهو متعدّد المظاهر، ويبعث على الفوضى والإنقسام" (القدّيس مكسيموس المعترف). وبالخطيئة صار الإنسان عدوّ اللّه وعدوّ نفسه. والوحيد الذي كان بمقدوره أن يُعيد السلام إلى الإنسان هو المسيح.

"المسيح هو الوحيد الذي يُصالحنا مع اللّه، الوحيد الذي يمنح السلام للنفس" (نيقولاوس كاباسيلاس). لهذا الأمر بعينه، "الإله المحبّ البشر صار إنساناً، حتّى يجمع إلى نفسه طبيعة البشر ويوقفها عن الإساءة إلى نفسها أو بالأحرى ليُبطِلَ الواقع حيثُ هي مُنقسمة على نفسها وثائرة على ذاتها". (القدّيس مكسيموس المعترف).

بالتوبة نجني السلام الذي حمله المسيح إلينا. "عندما تنسكب الدموع دون انقطاع، يقول القدّيس إسحق السرياني، تقتبل النفس سلام الأفكار. وبسلام الأفكار، ترتفع إلى نقاوة الذهن، وبنقاوة الذهن يَلِج الإنسان نحو مشاهدة أسرار اللّه".

دموع التوبة هي بداية الطريق. هي الدرجة الأولى من سُلّم تصعَد بنا نحو معاينة الأسرار الإلهيّة. والدرجة الثانية هي سلام النفس. يُرسلنا المسيح نفسه إلى حيثُ يسود سلامه، عندما نقترب منه تائبين فيقول: "إذهب بسلام". يُرسلنا إلى الهيكل المقدّس، "ملجأ السلام وبلاطه"، بلاط سلام اللّه الذي لا يمكن لأيّة قوّة أن تنال منه. هناك بإرشاد رئيس الكهنة المسيح، تنشغل نفسنا بمعاينة حاصلة بالروح القدس. إنّها معاينة "سلاميّة حُرّة من كلّ اضطراب". (القديس مكسيموس المعترف).

"هذا السرّ هو سرّ سلام"، يقول لنا الذهبيّ الفم عندما يتحدّث عن القدّاس الإلهيّ، لأنّ القدّاس الإلهيّ هو لقاؤنا بالمسيح، الذي هو حقّاً "سلام الإنسان".

> من أجل السلام الذي من العُلى وخلاص نفوسنا، إلى الربّ نطلب.

المسيح : هو سلامنا

بالطلبة الأولى علّمتنا الكنيسة طريقة الصلاة، والآن تعلّمنا ماذا ينبغي أن نطلب بالدرجة الأولى : سلام اللّه وخلاص نفوسنا. هكذا علّم المسيح : أن نطلب «أولاً ملكوت اللّه وبرّه» . "وفعلاً ، فخلاص النفوس يعني ملكوت اللّه والسلام الذي من العُلى يعني البرّ" .

سلام اللّه وبرّه هو الحياة الفاضلة، الحياة في الفضيلة. إنّه الحياة التي رذلها الإنسان بالسقوط لكنّه أُعطيَ من جديد موهبة من لَدُن "الذي صارَ لنا براً وقداسة" . وهذا ما كَشفه لنا التسبيح الذي أنشده الملائكة القدّيسون في أوان ميلاد المسيح : «المجدُ للّه في العُلى ، وعلى الأرض السلام، وفي النّاس المسرّة» .

يُلاحظ القدّيس كيرلّس بطريرك الإسكندريّة في تعليقه على هذه الآية، أنّ الملائكة القدّيسين قد حافظوا على رتبتهم التي أُعطيت لهم "ويقيمون في السلام مع اللّه، لأنّهم لا يخرجون بأيّ شكل من الأشكال عن الطريق الذي رسمه لهم ذاك أي (اللّه)، بل يقيمون ثابتين في البرّ والقداسة. بينما نحنُ الأشقياء رفعنا شهواتنا بإزاء إرادة السيّد واتّخذنا مواقع مُعادية للّه. وهذا كلّه أبطله المسيح لأنّه هو سلامنا، وبنفسه وحّدنا مع اللّه الآب، مُزيلاً الخطيئة التي جعلتنا أعداء . . . لذا بات المسيح بالنسبة لنا سلاماً وبركة" .

ومصالحة الأرض بالسماء تحقّقت بالمسيح : في المسيح يسوع، يقول بولس الرسول : « أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين، صرتم قريبين بدم المسيح، لأنّه هو سلامنا الذي جعل الإثنين واحداً ونقض حائط السياج المتوسّط، أي العداوة . . . وذلك لكي يخلق الإثنين في نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً ومصالحاً الإثنين في جسد واحد مع اللّه بالصليب وقاتلاً العداوة به، فجاء وبشّركم بسلام أنتم البعيدين والقريبين»(أف٢ : ١٣-١٧) .

صارَ المسيح إنساناً ليُقدِّم للإنسان سلام اللّه. فوق المائدة الشكريّة، كما يقول **القدّيس يوحنّا الذهبي الفم** : "وُضِعَ المسيح مذبوحاً. ولكن، لِـمَن ذُبِحَ ولأيّ سبب؟ لكي يُسالم بين السماء والأرض ، لكي يجعلكَ صديقاً مع الملائكة، لكي يُصالحك مع إله الكلّ، أنتَ الذي تُعاديه وتُخاصمه . . . تمّت هذه الذبيحة لكي يكون لكَ سلام مع أخيكَ" .

نستطيع إذاً بنعمة ذبيحة المسيح، ذبيحة تحقّق السلام، أن نتخطّى العوائق التي تفصلنا عن مملكة السلام : "عندما نصحو من سُكر الأهواء ونثور على مملكة الشيطان الشرّيرة والغاشمة ونزيح عن أنفسنا نيرها المُرّ . . . عندئذ نقتبل الحضور السلاميّ، حضور المسيح الملك المُسالم والوديع" (مكسيموس المعترف). عندما يبلغ الإنسان إلى اللاهوى، "يغدو ذهنه، وهو هيكل مبنيّ سرّياً على السلام، مقاماً للّه بالروح القدس" (مكسيموس المعترف).

سلام اللّه "يمتد مع المسيح إلى الدهر كلّه، ولا يعرفان (المسيح وسلامه) حدّاً أو نهاية" . إنّه سلام يجعل الإنسان هيكلاً. فالمكان الذي يعيش فيه الإنسان هو «السلام الذي من العُلى» ، **أي المسيح** : «كانت في سلام مظلّته ومسكنه في صهيون»(مز٧٥ : ٣) .

من أجل سلام كلّ العالم، وحُسن ثبات كنائس اللّه المقدّسة واتحاد الجميع، إلى الرب نطلب .

سلام كلّ العالم

يؤلّف كلّ المؤمنين معاً عائلة المسيح . فنحتضن بالمحبّة إخوتنا مهما بَعُدوا وأنّى كانوا . ونتوسّل من أجلهم إلى الربّ "فإنّ هذه هي عيون المحبّة، فلا مسافة تُعطّلهم ولا زمن يُضعفهم" (القدّيس يوحنا الذهبيّ الفم) . المحبّة، كما يقول القدّيس يوحنا السلّميّ "نبع نار" . "واقع المحبّة يشبه سرعة إنتقال لهيب النّار" (الذهبي الفم + يوحنا السُّلّمي) . المحبّة تجول بعجلاتها على العالم كلّه وتمتدّ على الزمن بأكمله .

نسأل الربّ بالطلبة نفسها أن نتنعّم بثمار سلامه : حُسْنِ ثبات الكنائس المحليّة، ووحدة الجميع في حقّه هو .

السلام يُثمر حُسْن ثبات "كنائس اللّه المقدّسة" . داخل بحر سلام اللّه تُبحر سفينة الكنيسة بثبات متّجهة نحو ميناء الملكوت الهادىء . لذلك نتوسّل إلى الربّ في القدّاس : "أيضاً نطلب إليك يا ربّ أن تذكر كنيستك المقدّسة الجامعة الرسوليّة الممتدّة من أطراف المسكونة إلى أطرافها . . . كُفَّ شقاقات الكنائس وأخمد تشامخ الأمم واقمع ثورات البِدَع سريعاً بقوّة روحك القدّوس . إقبلنا جميعاً في ملكوتك جاعلاً إيّانا بني النّور وبني النهار . هَب لنا سلامك ومحبّتك أيّها الربّ إلهنا فإنّك قد منحتنا كلّ شيء" (قدّاس باسليوس الكبير) .

السلام يُثمر أيضاً وحدة الجميع في المسيح . ويكتب القدّيس ديونيسيوس الأريوباغي في هذا الصدد فيقول : "لنُسبّح بنشائد سلاميّة السلام الإلهيّ والوحدويّ بامتياز . لأنّ هذه هي القوّة الموحّدة الكلّ، نبع العزم الواحد وتماسك الكلّ البالغ به إلى إنجازه" .

ويُشدّد أيضاً بولس الرسول على قوّة السلام الموحّدة فيقول : "يا إخوة اجتهدوا أن تحفظوا وحدانيّة الروح برباط السلام" . ويعلّق **القدّيس يوحنّا الذهبي الفم** على هذا القول أيضاً، فيقول : "لا يمكن أن تقوم وحدانيّة الروح داخل العداوة والخصام . . . ما من شيء يبرّد المحبّة يمكنه أن يعزّز الوحدة، بينما كلّ ما من شأنه أن يؤجج حرارتها يسعه أن يحقّقها على درجة كبيرة . . . يريد بولس الرسول أن يرتبط المؤمنون بعضهم ببعض . ليس فقط أن يكونوا في سلام، أو أن يحبّوا بل أن يكون الكلّ واحداً، نفساً واحدة" . (أفسس٤ : ٣) .

والضوضاء ، وانعدام السلام يفصمان الوحدة . السلام يُوحّد بين الكثيرين : "كما أن السلام يجمع الكثيرين إلى إتحاد واحد، كذلك إنعدام السلام يبعث على شرذمة الواحد إلى كثيرين" . السلام يوحّدنا بعضنا ببعض، يوحّدنا مع اللّه : "هبنا أيّها الآب سلاماً، سلام العزم الواحد بين بعضنا البعض . أعطنا سلاماً، أعني به سلام الإتحاد بكَ الذي لا تنفك عُراه، حتى إذا كُنّا متسالمين مع روحك، الأمر الذي أسّسته فينا منذ بدء الخليقة، نكون غير منفصلين عن محبّتك" .

برباط السلام هذا يحثّنا **الذهبي الفم** على أن نرتبط نحن المؤمنين بعضنا ببعض ومع اللّه، فيقول : "**حسنٌ هو هذا الرباط، فلنربط به أنفسنا نحو اللّه**" . هذا الرباط لا يشدّ الخناق على المرتبطين به، ولا يضغط عليهم، بل يمنحهم أن يتذوّقوا أنّهم أكثر حُريّة من الأحرار و "**أنهم يجلسون في مكان فسيح رحب**" . يبلغ المؤمنون إلى محبّة اللّه الرحبة إذ ترتبط بينهم عُرى المحبّة والسلام .

يتبع في العدد القادم

الفكر اللاهوتي للرسول بولس في الرسالة إلى غلاطية

تحدثنا فيما سَبَق (في العددين السابقين) عن التبرير، والإيمان بالحياة الروحيّة، وكذلك ، البراهين على التبرير بالإيمان مستقلاّ عن أعمال النّاموس. وذكرنا برهان الواقع أو الخبرة. وبقي أن نذكر البرهان اللاهوتي ثم البرهان الكتابي.

٢ - البرهان اللاهوتي:

يقوم البرهان اللاهوتي عند الرسول بولس على فرضين مقنعين ، وقد كرّر ذكرهما في رسائله تحت صور مختلفة. التبرير هبة مجانيّة لا يستحقها الإنسان ولا يمكن أن يستحقها، وليس للإنسان الحقّ في أن يفتخر أمام اللّه، وإذا افتخر، فليكن افتخاره بالبركات الروحيّة التي حصل عليها. وهذان الفرضان يذكرهما الرسول بولس معاً في عبارة قصيرة في رسالته إلى أفسس «لأنّكم بالنعمة مخلّصون بالإيمان، وذلك ليس منكم، هو عطيّة اللّه» (أفسس ٢:٨-٩). ويُكرّر بولس الرسول هذا التعليم في مواضع أخرى من رسائله، فهو يقول في رسالته الأولى إلى كورنثوس «لكي لا يفتخر كل ذي جسد أمامه. ومنه أنتم بالمسيح يسوع الذي صار لنا حكمة من اللّه وبرّاً وقداسة وفداء. حتى كما هو مكتوب، من افتخر فليفتخر بالربّ» (١ كو ١:٢٩). «فأين الإفتخار قد انتفى. بأي ناموس. أبناموس الأعمال. كلا بل بناموس الإيمان» (رو٣:٢٧).

وفي الإصحاح الرابع من رسالته إلى رومية، أكّد الرسول بولس نفس التعليم فقال: « إنّ كان إبراهيم قد تبرّر بالأعمال فله فخر ولكن ليس لدى اللّه. لأنّه ماذا يقول الكتاب فآمن إبراهيم باللّه فَحُسِبَ له برّاً ... الذي لا يعمل ولكن يؤمن بالذي يُبرّر الفاجر فإيمانه يحسَب له برّاً. كما يقول داود أيضاً في تطويب الإنسان الذي يحسب له اللّه برّاً بدون أعمال. طوبى للذي غُفِرَت آثامهم وسُتِرَت خَطاياهم. طوبى للرجل الذي لا يحسب له الرّبّ خطيّة. أفهذا التطويب هو على الختان أم على الغرلة أيضاً، لأنّنا نقول إنّه حُسِبَ لإبراهيم الإيمان برّاً» (رو٤:١-٩).

إنّ التبرير بالإيمان هو عمل مجّاني ؛ لأنّه إذا كان الإيمان هو هبة من اللّه، فإنّ كلّ الأعمال العظيمة التي يُثمرها هذا الإيمان هي من اللّه. إنّ عمل الإيمان يفترض أساساً الدعوة الإلهيّة التي تتم في الوقت المناسب. وحيثُ إن هذين الأمرين (الدعوة الإلهيّة، ووقتها المناسب) يعتمدان بوجه مُطلَق على مسرّة اللّه ، فإنّ أسبقيّة النعمة ـ من ناحية وجودها ـ لا يُمكن إنكارها. والربّ على الدوام يبدأ العمل الخاص بخلاص الإنسان قبل أن يبدأه الإنسان نفسه. وعلى عكس ذلك، فإنّ التبرير الذي ينتج عن أعمال النّاموس، أو في تعميم أكثر، الأعمال التي تتم قبل الإيمان (على إفتراض أن هذا يمكن أن يحدث) سوف يكون نتيجة عمل الإنسان ويُنسَب إليه ، كما يُنسَب الأجر للعامل، ويمكنه أن يفخر به كَحقّ يملكه، وينطبق عليه ما قيل عن إبراهيم « إن كان إبراهيم قد تبرّر بالأعمال فله فخر ولكن ليس لدى اللّه ... ولا تُحسَب له الأجرة على سبيل نعمة بل على سبيل دَيْن». على أنّ ضرورة الإيمان وضرورة الأعمال الأخرى اللازمة للتبرير ـ كما أشرنا سابقاً ـ لا تنفي القول بمجانيّة التبرير، تماماً كما في حالة المتسوّل، فإنّ مَدّ يده لطَلب المساعدة، لا تضعف من إعتبار الصدقة التي تُقَدَّم لَهُ تُعبِّر عن عمل حُرّ من قبَل المُعطي حتى وإن كان مدّ اليَد من قبَل الرجل الفقير شرطاً أساسيّاً للحصول على هذه الصدقة. ولكن هناك هذا الفرق، أنّ اليد الممدودة من المتسوّل هي يده، بينما أن عمل الإيمان هو هبة من اللّه.

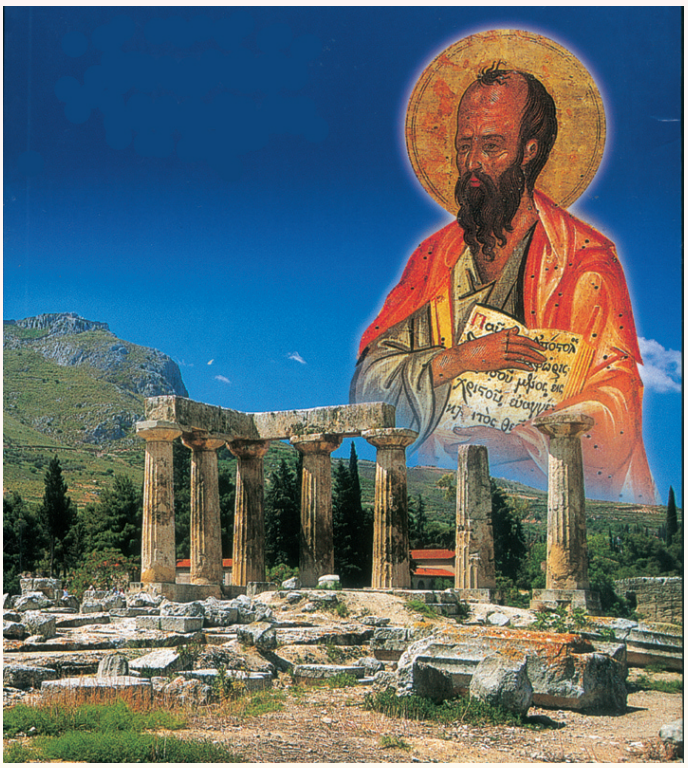

٢ - البرهان الكتابي:

يستند البرهان الكتابي إلى تاريخ إبراهيم، كما يشير إليه الرسول بولس في (رو٤:١٠-٢٥ ، غلا ٣:٧-١٤).

إنّ إبراهيم تبرّر وأعلن عن أبوّته للمؤمنين، قبل ختانه. وهذا يعني أولاً أنّه ليس هناك رابطة ضروريّة بين الختان والتبرير ، وأنّه من الممكن للمرء أن يتبرّر دون أن يختتن، ويعني ثانياً أن أبوّة إبراهيم كانت مكافأة لإيمانه وغير مرتبطة بختانه ،وهذا يمكن أن يمتد إلى الأمميين الذين يقلّدون إيمان إبراهيم. على أنّ ما أخذه إبراهيم لم يأخذه من النّاموس ولكن من الموعد ، ليس من الجسد بل من الروح. إنّه ليسَ إمتياز الجنس. ولكنّه إمتياز لكل المؤمنين.

أمّا أنّ إبراهيم قد تبرّر قبل الختان، فهذا ما يمكن أن نستدل عليه تاريخيّاً. في الإصحاح الخامس عشر من سفر التكوين قيل

التتمّة في ص ١٣

طريق النساك

عجز القدرة الإنسانيّة

الثالوث القدّوس

يقول الآباء القدّيسون بصوت واحد: إنّ أوّل ما يجب أن تضعه نُصب عينيك هو: **ألاّ تعتمد على ذاتك من أيّ ناحية**. فالحرب القائمة قُبالتك الآن حرب قاسية قسوة غير عاديّة، وقواك الإنسانيّة غير كافية بالمرّة لدخول الحرب. فإن اعتمدتَ عليها، فستُطرَح أرضاً، وستفقد الرغبة في مواصلة المعركة. إنّ اللّه وحده هو الذي يستطيع أن يعطيك النصرة التي تريدها.

إنّ هذا القرار بعد الإعتماد على الذّات يُشكِّل عقبة كؤودا (كؤود = صعبة وشاقة المصعد)، خاصّةً في البداية، وذلك بالنسبة لمعظم النّاس. فيجب التغلّب على هذه العقبة، وإلاّ فلا أمل في التقدّم. إذ كيف يمكن أن ينال المرء نصيحة أو إرشاداً أو معونة إن كان يعتقد أنّه يعرف كلّ شيء، ويقدر أن يعمل كلّ شيء ولا يحتاج لأيّ توجيه؟ فلا يمكن لأيّ بصيص من النّور أن ينفذ من خلال جدار الغرور بالذّات: «ويلٌ للحكماء في أعين أنفسهم والفهماء عند ذواتهم» هكذا صَرَخَ إشعياء (إش ٥: ١٢)، والرسول بولس يحذّرنا بقوله: «لا تكونوا حكماء عند أنفسكم» (رو ١٢: ١٦)، إنّ ملكوت السموات قد «أُعلن للأطفال»، ولكنّه يظل مخفياً «عن الحكماء والفهماء» (مت ١١: ٢٥).

القدّيس أنطونيوس الكبير

القدّيس يوحنا السلّمي

القدّيس أفثيميوس الكبير

لذلك ينبغي أن نُفْرِغ أنفسنا من كلّ ثقة زائدة في أنفسنا. هذه الثقة التي كثيراً ما تضرب بجذورها عميقة فينا، حتى أنّنا لا نرى مقدار تسلّطها على قلوبنا، إنّها بالضبط ـ ذاتيّتنا، تمركزنا حول ذواتنا، وحبّنا لأنفسنا التي تسبب لنا كلّ الصعوبات، وتُعَطِّل حريّتنا في وقت الآلام، وهي سبب إخفاقتنا وسبب عذاب أنفسنا وأجسادنا.

لذلك ألْقِ نظرة على نفسك، ولاحظ كيف أنّك مربوط بالرغبَة في تدليل نفسك، ونفسك فقط. وها أنّ حريّتك قد صارت مُقيّدة برباطات حُبّ الذّات المُعَطِّلة، ولذلك فأنتَ تهيم، كجثّة مأسورة، من الصباح إلى المساء: «الآن سأشرب». «الآن سأستيقظ». «الآن سأقرأ الجريدة»... وهكذا تنقاد من لحظة إلى لحظة في أغلال إنشغالك بالذّات، وإذا اعترضتك عقبة فسرعان ما يشتعل فيكَ الغمّ وضيق الصدر والغضب.

فإذا نظرت إلى أعماق شعورك سترى نفس المنظر. ويمكنك أن تكتشف تلك بسهولة حينما تلاحظ مشاعر الكدر التي تنتابك حينما يُقاومك شخص مُعيّن. وبذلك فإنّنا نعيش في عبوديّة. ولكن «حيثُ روح الربّ فهناك حريّة» (٢كو٣: ١٧).

كيفَ يُمكن أن ينتج أي شيء صالح من الدوران حول الذّات؟ ألم يوصينا الربّ أن نحبّ قريبنا مثل أنفسنا، وأن نحبّ اللّه فوق الكل؟ ولكن هل نفعل ذلك؟ . بل بالعكس، أليست أفكارنا دائماً منشغلة بمصلحتنا الذاتيّة؟ لذلك، يلزم أن تقتنع أنّه لا يُمكن أن يأتي شيء صالح، من ذاتك. وإذا حدث ـ عَرَضاً ـ أن تحرّكت فيك أفكار غير أنانيّة، فتأكّد أنّها لم تأت من ذاتك، بل هي مُغترفة من ينبوع الصلاح وقد فاضتَ عليك: إنّها هبة من مُعطي الحياة. وبالمثل فإنّ القوّة التي تحوّل الفكر الصالحَ إلى فعل وممارسة ليست هي قوّتك الخاصة، بل إنّها مُعطاة لك من الثالوث القدّوس.

أيّها المبعوث لا ضنت برجعاك السماء — أنظر الأرض هل في الأرض حبٌ وأخاء

يا قويّاً لم يهن يوماً عليه الضعفاء — وضعيفاً واسمه يصرع منه الأقوياء

إمبراطورية روما الجديدة ومواطنيها

للكاهن المتقدم في الكهنة جاورجيوس ميتالينوس - أستاذ كلية اللاهوت في جامعة أثينا

تتمة من العدد السابق

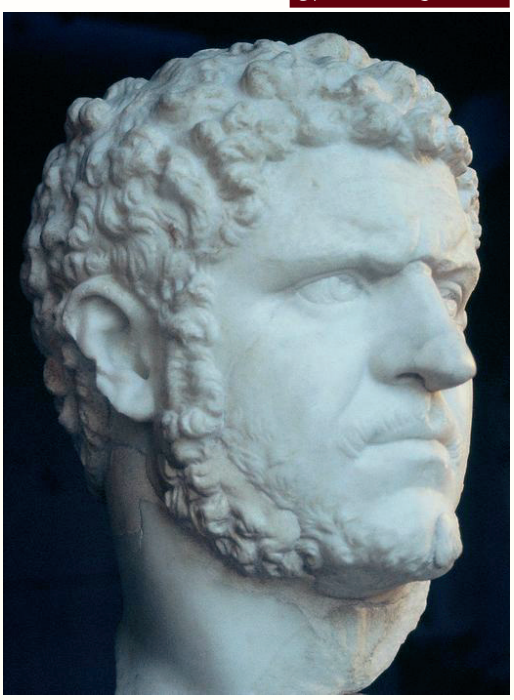

الأمبراطور كاراكالاس

إمبراطوريّة روما الجديدة

ثانيا: «الرّوم الرّومي - الرّوماني»

إن مواطني الإمبراطوريّة الرومانيّة، أو «الدّولة البيزنطيّة» ـ **هذا الاسم المصطنع غير الموجود أصلا** ـ كانوا كمواطنين في الدّولة الرّومانيّة يُسمّون من ناحية حكوميّة وسياسيّة **الرّوم**. ومنذ سنة 212م وبمرسوم من الإمبراطور كاراكالاس (Constitutio Antoniniana) كان قد أمر بان يسمى كلّ مواطن داخل **دولة الرّوم العظمى** بالاسم **رومي**. إذن قبل انتقال العاصمة إلى الشّرق كان الاسم «رومي» يدل على المواطن **الرومي** أينما كان وحيثما وُجد. لذلك كان مواطنو **دولة الرّوم** الّذين يتكلّمون اليونانيّة يُسمَّون **الرّوم**، والّذين يتكلّمون اللاتينيّة يُسمَّون **الرّومان**، لانّ روما القديمة والجديدة كانتا تعملان في نطاق (المدينة – والدّولة)، كما كانت تعمل المدن اليونانيّة القديمة، لهذا كان «**الروميّ**» ليس من يسكن العاصمة فحسب، بل كل مواطن كان يسكن في نطاق الإمبراطوريّة. إن سقوط القسم الغربيّ للإمبراطوريّة في أيدي القبائل البربريّة سنة 476م وبعد ذلك، لم يشكّل دولة مستقلة هناك، بل إنّ كلّ هذه المناطق كانت واقعة تحت الاحتلال كانت تنتظر تحريرها واتّحادها من جديد مع القسم الشرقيّ **لدولة الرّوم**، وتحقّق هذا الى حد ما بمجيء يوستنيانوس (565–527).

إذن الروميّ هو مواطن روما الجديدة والمسيحيّ الأرثوذكسيّ.

وهكذا بدون أن يخسر الاسم معناه الانتمائيّ للدولة توحّد هو والأرثوذكسيّة. روميّ أو رومانيّ هو مواطن روما الجديدة الأرثوذكسيّ. ونستنتج أن الاسم روميّ لا يلغي أيّ اسم يدلّ على منبت الشّخص أو أصله أو قوميّته. عندما نقول يونانيّ روميّ، نعني بهذا أنّ كلمة يونانيّ تدلّ على الأصل والمنبت، وروميّ على انتمائه للدّولة، هويّته الأرثوذكسيّة. والشيء نفسه عندما نقول اليوم يونانيّ أمريكيّ أي يونانيّ بحسب الأصل ومواطن في الدّولة الأمريكيّة، إذن الفكرة الّتي يضعها بعض النّاس أمامنا، أن المصطلح يونانيّ أو رومانيّ هما مُزَيّفان هي فكرة غير صحيحة ، لأنّه يمكن للشّخص أن يكون بحسب الأصل يونانيًا أو سوريًا أو أيّ شيء وروميًا بحسب انتمائه، ومواطن للدولة الروميّة.

في القرون الماضية جرى حديث حول حضارة الدّولة الرومانيّة واستخدم مصطلح «**الروميّة**».

يجب أن نقول هنا لأصحاب الخطابات أو السياسيّين الّذين يستخدمون الأسماء ، أنّهم في كثير من المرّات في خطاباتهم يُحدثون إلتباسات في الأمور، فمثلا، (نراهم يربطون المصطلح روميّ بكلمة يونانيّ، أو يستخدمون كلمة بيزنطيّ، الخ) أما الشّعب المتحرّر من الخطابات ومن كلّ هدف سياسيّ، يستخدم الأسماء كما في عاداته وتقاليده وأغانيه الشّعبية. وطبعًا، يوجد هنا نوع من التّوحيد بين المصطلحين يونانيّ وروميّ، لان المصطلح يوناني هو بحسب الحضارة، و المصطلح روميّ هو بحسب الدّولة أو الوطن

قد توحّدا في النهاية، لانّ الرّوم حضاريًا أصبحوا يونانيّين، واليونانيّون بالمواطنة أصبحوا روميّين. غير ذلك، فإنّ كل شعوب الإمبراطوريّة باستطاعتهم أن يُسمَّوا بحسب الحضارة يونانيّين وانّ الإمبراطوريّة هي يونانيّة، وهذا لا يعني أنّ الشّعوب الّتي من أصل يونانيّ يجب أن يكونوا متسلّطين على باقي شعوب الإمبراطوريّة، أو أنّ الإمبراطوريّة هي ملك لليونان. مثل هذا الالتباس وعدم الفهم، حصل نتيجة السّقوط الثّاني للمدينة سنة 1453م. لقد كانت القسطنطينيّة في أيدي اليونان مع بعض أقسامها الممتدة في دولة اليونان التاريخيّة، ولكن لم تكن هذه الأقسام من الناحية الجغرافيّة تشكّل الإمبراطوريّة بكاملها، إذ لم تكن ذات أصل وطنيّ واحد. إنّ الإمبراطوريّة الرّوميّة (بيزنطة) رجعت إلى ما كانت عليه، وعملت من جديد «**كإمبراطوريّة**» في حدود السّيادة الوطنيّة داخل الإمبراطورية العثمانيّة الّتي تعتبر الامتداد الجغرافيّ لإمبراطوريّة روما الجديدة. إذن فإنّه بعد سقوط المدينة سنة 1453م، وُجدت إمبراطوريّة روما الجديدة كسلطة روميّة موحّدة ممثّلة (بملّة الرّوم)، بدأت وحدتُها من جديد على الأرض وبين مواطنيها وقد أصبحوا (دولة داخل دولة).

دعونا نعود إلى معنى الاسم روميّ أو رومانيّ.

من الشيء المميّز انّه يوجد إلى هذا اليوم في فلسطين وسوريّا ولبنان، أكثر من مليون ومائتي ألف أرثوذكسيّ، ممّن بسبب الظروف التاريخية القاهرة والصعبة أصبحوا يتكلّمون العربيّة، نراهم يعترفون ويقولون من تلقاء أنفسهم إنّهم «روم أرثوذكس» لا سوريّون أو لبنانيّون أو فلسطينيّون، لأنهم يعدّون أنفسهم أسلافًا للرّوم مواطني إمبراطوريّة روما الجديدة، وذلك من نصف القرن السّابع الميلاديّ. بلغة أخرى يعلنون هُويّة دولتهم القديمة والّتي تمثّل إيمانهم في الوقت نفسه. كأرثوذكسيّين هم روم، لهذا يتوجّهون بتأثر أمام كلّ أرثوذكسيّ «روميّ» أجنبيّ، كي يظهروا علاقتهم التاريخيّة وقرابتهم (الرّوحية والدّولية) معه.

إنّ استخدام القرآن عند الإسلام للكلمات (روم أو روميّ) هو تأكيد كبير ومهمّ للاستعمال الواسع لهذه المصطلحات في ذلك العصر. ومن أكثر سُوَر كتاب القران اهتماما هي (السورة رقم 30) والّتي تُسمّى سورة «الرّوم» حيث علّق المؤرّخ العربيّ المسعوديّ في القرن العاشر الميلاديّ وفرّق بين اليونان الوثنيّين والرّوم المسيحيّين، ونورد لكم الآيات الأولى من سورة الرّوم:

"بسم الله الرّحمن الرّحيم، الم (1) غلبت الرّوم (2) في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون (3) في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون (4) بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرّحيم (5)."

إنّ الهزيمة الّتي تذكرها هذه الآيات هي تراجع الرّوم أمام الفرس سنة 619م، وهروبهم إلى مصر. وبحسب المصادر العربيّة فإنّ النصر المذكور هنا في القران تحقّق سنة 628 عندما انتصر الرّوم على الفرس. والمهمّ هنا أنّ النبيّ محمدًا كان إلى جانب الرّوم كمسيحيّين وليس مع الفرس الوثنيّين، لذلك تُعدّ هذه السّورة الأساس الروحيّ للصّداقة العربيّة اليونانيّة.

يتبع في العدد القادم

تابع من (ص ١٠) الفكر اللاهوتي للرسول بولس في الرسالة إلى غلاطية

عن إبراهيم أنّه آمن باللّه وحُسِبَ لَهُ هذا الإيمان برّاً. وفي الإصحاح السابع عشر أُشير إلى ختان إبراهيم. إنّ التبرير جاء أولاً ثمّ بعد ذلك الختان كعلامة حسيّة لبرّ الإيمان.

ويُسَجّل الرسول بولس هذه الحقيقة التاريخيّة، فيقول في الإصحاح الرابع من الرسالة إلى رومية: « لأنّنا نقول إنّه حُسِبَ لإبراهيم الإيمان برّاً. فكيف حُسِبَ أوَهو في الختان أم في الغرلَة. ليس في الختان بل في الغرلة وأخذ علامة الختان ختماً لبرّ الإيمان الذي كان في الغرلة ليكون أباً لجميع الذين يؤمنون وهم في الغرلة كي يُحسَب لهم أيضاً البرّ. وأباً للختان للذين ليسوا من الختان فقط بل أيضاً يسلكون في خطوات إيمان أبينا إبراهيم الذي كان وهو في الغرلة. فإنّه ليس بالنّاموس كان الوعد لإبراهيم أو لنسله أن يكون وارثاً للعالم بل ببرّ الإيمان. لأنّه إن كان الذين من النّاموس هُم ورثة فقد تعطّل الإيمان وبَطُلَ الوعد. لأنّ النّاموس ينشىء غَضَباً إذ حيثُ ليس ناموس ليس أيضاً تَعَد. لهذا هو من الإيمان كي يكون على سبيل نعمة ليكون الوعد وطيداً لجميع النسل ليس لمن هو من النّاموس فقط بل أيضاً لمن هو من إيمان إبراهيم الذي هو أب لجميعنا» (رو ٤:٩-١٧).

وجاءَ أيضاً في الرسالة إلى غلاطية: «فالذي يمنحكم الروح ويعمل قوّات فيكم أبأعمال النّاموس أم بخبر الإيمان. كما آمن إبراهيم باللّه فَحُسِبَ لَهُ برّاً. فاعلموا إذاً أنّ الذين هُم من الإيمان أولئك هم بنو إبراهيم. والكتاب إذ سَبَقَ فرأى أنّ اللّه بالإيمان يبرّر الأمم سَبَقَ فَبَشَّرَ إبراهيم أنّ فيكَ تتبارك جميع الأمم. إذاً الذين هم من الإيمان يتباركون مع إبراهيم المؤمن، لأنّ جميع الذين هُم من أعمال النّاموس هم تحت اللعنة، لأنّه مكتوب ملعونٌ كل مَن لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب النّاموس ليعمل به. ولكن أنّ ليس أحد يتبرّر بالنّاموس عند اللّه فظاهر لأنّ البّار بالإيمان يحيا. ولكن النّاموس ليس من الإيمان بل الإنسان الذي سيحيا بها ... لتصير بركة إبراهيم للأمم في المسيح يسوع لننال بالإيمان موعد الروح ... ليس أحد يُبطل عهداً قد تمكّن ولو من إنسان أو يزيد عليه. وأمّا المواعيد فقيلت فَي إبراهيم وفي نسله. لا يقول وفي الأنسال كأنّه عن كثيرين بل كأنّه عن واحد، وفي نسلكَ الذي هو المسيح.وإنّما أقول هذا إنّ النّاموس الذي صار بعد أربعمائة وثلاثين، لا ينسخ عهداً قد سَبَقَ فتمكّن من اللّه نحو المسيح حتى يُبطل الموعد. وأنّه إن كانت الوراثة من النّاموس فلم تكن أيضاً من موعدَ ولكن اللّه وهبها لإبراهيم بموعد» (غل ٣:٥-١٩).

أحد الشعانين

عظة للقديس أبيفانيوس القبرصي

مقدّمة: الإحتفال بالعيد

ليكن فَرَحُك عارماً يا ابنة صهيون! اشكري وتهلّلي يا كنيسة المسيح بأجمعها، لأنّ الملك يأتي إليك من جديد عريسَك يأتيك جالساً على جحش كما على عرش. لنخرُجْ لاستقباله، لنسرعْ ونرى مجده، لنلحق به ونكرّم دخولَه فرحين. مرّة أخرى يأتي الخلاص للعالم. مرّة يأتي اللّه ليُصلَب. ملك صهيون، رجاء الأمم، يأتي من جديد إليها ويمنح الخلاص للعالم. مرّة أخرى يفتقدنا النّورُ وتنحلّ اللعنة. تُزهر الحقيقة، تَرقُص الكنيسة فيترمّل مجمع اليهود. الشياطين تخجل من جديد. اللعنة تتبدّد والعبرانيّون يضطربون. الشيطان ينسحق. الأمم تفرح وصهيون تتزيّن. يأتي المسيح جالساً على جحش كما على عرش. تهلّلي أيتها السماوات، يا ملائكة سبّحوا. يا جبالُ ابتهجي ويا تلال ارتكضي ويا أنهار ثوري. ارقص يا شعب صهيون وافرحي أيّتها الكنائس. وأنتم يا كهنة رتّلوا ويا أنبياء هلمّوا في المقدّمة. يا تلاميذ بشّروا ويا شعوب استقبلوا وانتم أيها الشيوخ تسارعوا معهم أيضاً. ارقصي أيّتها الأمهات وانشدوا أيّها الرُضّع.

اصرخوا أيّها الشباب ويا أيّتها القبائل تجمّعي. كل جبلة، كل وجود، كل مصفّ، كل نسمة، الأرض كلّها، كل ما له قيمة، الأعمار كلّها، رؤساء الأمم كلّهم، الملوك كلّهم ليستقبلوا ببهاء ملوكيّ ملك الملوك. وببهجة سيّديّة لنسجد لسيّد الأسياد وننشد إلهيّاً أناشيد لإله الآلهة ولنرقص رقصات الزفاف الإلهيّة للعريس الأزلي. لنُشعل مصابيحنا بابتهاج ونُبَدِّل نفوسنا كما يليق باللّه. لنهيءَ طُرق حياتنا جميلةً، ولنُمسك بسَعَف الظَفر من أجل الظافر على الموت، ولنهزّ أغصان الزَيّتون للغصن الآتي من مريم. لنرتّل ملائكيّاً لإله الملائكة. وكما يليق باللّه، فلنصرخ مع الأطفال ومع الشعب أيضاً صرخة الجموع ونَقُل: «أوصنا في الأعالي! مبارك الآتي باسم الرب!». لقد ظهر اللّه والرب مثل نور وأشرقَ علينا نحنُ الجالسين في الظلام وظلال الموت. ظهَرَ الإصلاح للذين سقطوا، وكذلك الخلاص للمأسورين. ظهر النّور للعميان، التعزية للمحزونين، الراحة للمتعبين، الإرتواء للعطشى، العدل للمظلومين الخلاص لليائسين، الوحدة للمنشقّين الشفاء للمرضى، السلام للواقعين في وسط العاصفة.

لذلك نحنُ أيضاً مع الجمع لنصرُخ اليوم إلى المسيح أُوصَنّا (هوشعنا) الذي معناه خلّصنا أيّها الإله السماوي. يا للأمور الجديدة! يا للعجائب غير المتوقّعة! البارحة أقام المسيح لعازر من بين الأموات، واليوم يسير هو بنفسه إلى الموت. البارحة بمثابة

القدّيس أبيفانيوس القبرصي

حياة وهب الحياة لغيره، واليوم مُعطي الحياة يأتي إلى الموت. البّارحة حلّ لفائف لعازر، واليوم يأتي ليلتفّ هو نفسه طوعاً باللفائف. البارحة أخرَجَ الإنسان من الظلمة، واليوم يأتي ليدخل الظلام وظلال الموت من أجل الإنسان. البارحة ستة أيّام قبل الفصح وهبَ الثلاثيّ الأيّام للأختين أخاهما الرباعيّ الأيّام بحواسه الخمس، واليوم يسير بنفسه نحو الصليب. لقد وهَبَ مريمَ الميّت الرباعيّ الأيّام، بينما يهب المسيح الثلاثيّ الأيّام نفسَه للكنيسة. هناك فقط بيت عنيا تتعجّب، وهنا تعيّد الكنيسة بأسرها. تُعيّد عيدَ الأعياد، وعندها في الوسط ملك القوّات اللاهيوليّة بمثابة عريس وملك. تُعيّد عيداً كزيتونة مثمرة في حديقة اللّه، زيتونة تظلّل بأوراقها الدائمة. تعيّد عيداً بمثابة زنبقة ربيعيّة. حيثُ المسيح هناك الزنبق الخضير بالحقيقة الذي لا يُدين بل يخلّص العالم. حيثُ المسيح هناك البنفسج الذي يُداوي آلام المرضى. هناك الكرمة التي تقول: أنا هو الكرمة الحقيقيّة. هناك الرحيم الذي يرحم حقّاً كل الواضعين رجاءهم فيه. هناك أزهَرَ الغصن الذي قبل الأزل من جذر يسّى دون فلاحة ودون أن ينقب الفلاّح. هناك النبع الذي لا ينضب، حيثُ لا يوجد فيشون وجيحون، دجلة والفرات، بل يوجد متّى، مرقس، لوقا ويوحنا الذين يروّون بستان كنيسة المسيح. هناك الشبيبة كلّها اليوم كمثل زيتونة مثمرة مليئة بالحَبّ تتوسّل إلى المسيح الرحيم، فنحنُ، مغروسين في حقل المسيح، مُزهرين موسماً ربيعيّاً في وسط البستان، نُعيّد عيدنا ونشاهد شتاء النّاموس يقفل.

عيّدي يا كنيسةَ المسيح، ليسَ شكلياً ولا جسدياً، بل راقصة رقصاً روحياً. عيّدي عيدَك مشاهدة سقوط الأصنام وعائشة قيامَتك الخاصّة. وأنا من جهتي أضيف صوتي إلى صوت بولس الشريف القوي: لقد مضى القديم، وها كلّ شيء قد أصبح جديداً غير منتظر وقوعه. لذلك افرحوا وابتهجوا يا فتيان المسيح، تهلّلي يا كنيسة المسيح، عيّدي يا فتاة اللّه وكوني شاكرة. لقد أصبح مجدك لا يزول كونَك إبنة المسيح الملك داخلياً وخارجياً. لستَ بعد أرملَةَ أحد بل عروس اللّه تزهرين، ليس عن يسار اللّه للوثنيين، بل عن يمينه، زهرَة المعرفة الإلهيّة. لم يُدَنِّسَك دم الأصنام بل دم اللّه يختمك. لن تعبدين الإله **أوَبيل** بل **عمانوئيل**. لن تُسَبّحي طرواده بل الثالوث. لن تُكرّمي أفلاطون بل إلهنا الضابط الكل. لن توقري هيرقليوس معبد الشرّ بل المعزّي صانع الكل. لن تسجدي لأرسطو ليجعلَك حكيمة بل للّه الذي خلّصَك إلى كل الدهور. لقد سَقَطَ كرونس لأنّ اللّه الكلمة اتّخذ جسداً لا بمشيئة رجل بل وُلِدَ بقوّة اللّه من مريم.

الضابط الكلّ - كنيسة آيا صوفيا للروم الأرثوذكس في القسطنطينيّة

لاحظوا حُظوَة هذا النهار. انظروا إلى بهاء العيد. افرحي إذاً وابتهجي يا ابنة صهيون. كوني شاكرة. ارتكضي وتهلّلي يا كنيسة اللّه بأسرها. أديري ألحاظَك وانظري كيف يجتمع الآن أولادك المشتّتين قبلاً في الأمم. أنظُري إلى خشوع العيد. إنتبهي إلى تسابيح الشعب المتوافقة. لاحظي كل لسان في تمجيد واحد وكلّ الأفواه كواحد. شاهدي الأمم المتوحّشة صائرة خرافاً بجوارك. استمعي إلى تمجيد الأمم المتشبّهة بالملائكة غير المتجسّمين. لاحظي أيضاً التناغم الذي هو جوقة الملائكة المنتظمة. أُنظري إلى هذه الرُتَب التي تُشابه صافّات الملائكة. اعتبري المزاميرَ أناشيد ملائكيّة، الأطفال حملاناً حديثة السن ترنّم للمسيح: **أوصانا لإله السماء، مباركٌ هو الآتي!** معهم صَفّقي بالأيادي برعدة وأزأري كالأسد بأقوال العيد الشكريّة: ها أنذا والأولاد الذين أعطانيهم اللّه، أنا التي كنتُ قبلاً عاقراً لا تلد ولا معنى لها. مباركٌ الذي أتى والآتي باسم اللّه. هو إلهنا وربّنا الذي ظهر لنا، الذي لا يَسَعُهُ مكان، ولا شيء يضبطه. مبارك الآتي دون أن يبتعد عن السماء. مبارك بما يليق هذا الذي سوفَ يأتي من جديد بعظمة ألهيّة. مبارك هو الآتي من أجلي رمزياً راكباً على جحش كما على الشاروبيم. اسمعوا ما يقوله الإنجيلي الكارز بالعيد.

«عندما اقترب من بيتَ فاجي وبيتَ عنيا عند الجبل الذي يُقال له جبل الزيّتون أرسَلَ أثنين من تلاميذه قائلاً لهما: إذهبا إلى القرية التي أمامكما وللوقت تجدان جحشاً مربوطاً ما ركبه أحد. فَحُلّاه واتيا به ... فعل التلميذان كما أمرهما يسوع ووضعا على الجحش ثيابهما وأركباه عليه وعندما وصَلَ إلى مقدّمة الجبل أخذ الجمع الذي جاء للعيد أغصاناً من السعف وخرَج ليستقبل يسوع. والذين يتقدّمون والذين يتبعون كانوا يصرخون قائلين: أوصنا لإبن داود مبارك الآتي باسم الرب». (لوقا ١٩: ٢٩-٣٨).

ها هو الحضور السيّدي في عيدنا. هذه هي السُكنى القديمة والجديدة لصهيون ابنة ملك الملوك. ها هو المجيء الإحتفالي والعلني لخالق الكل في اليوم الحاضر. لذلك أيّها الأخوة ويا كُلّ من أتى إلى العيد لنخرُج كلّنا لاستقباله، المُعَيّدون المنظورون وغير المنظورين، الأنبياء الذين سبقونا زمنياً، والمعلّمون الذين يتبعون الجحش والمرتبطون بالإيمان باللّه. اليوم لترتّل السماوات والأرض وما تحت الأرض معاً. كل فم مع كل نسمة ليُفتَح للتمجيد. ليَصدَح الشاروبيم: قدّوسٌ قدّوسٌ قدّوسٌ ربُّ الصباؤوت المثلّث التقديس، السماءُ والأرض مملوءتان من مجدك. أيّها السيرافيم سبّحوا ويا أنبياء اكرزوا. ليَقُل الواحد لتفرح السَماواتُ وتتهلّل الأرضُ، وليَقُل الآخر تهلّلي يا ابنةَ صهيون واستبشري يا ابنة أورشليم. وآخر ليصرخ مُتطلّعاً إلى المسيح الملك: هوذا حمل اللّه الرافع خطيئة العالم. وآخر ليتكلّم عن الربّ نفسه: هوذا إلهنا. وغيرُه ليَقُل إلى جانبه: هوذا الإنسان والإله معاً، المُشرق إسمُه. ليتطلّع داود إلى المسيح الآتي من صُلبه مُرتّلاً: **اللّه الربُّ ظهرَ لنا**. الواحد ساجداً ليقلْ للمسيح: لتسجدَ لكَ المسكونة كلّها. والآخر ليَحثّ الشعوب قائلاً: احتفلوا بالعيد في المجامع حتى قرون المذبح.

هكذا كان يتمّ قديماً مجيء ربّنا على الجحش إلى صهيون. هناك تناغُم عام بين أجواق الآباء وشعب الصدّيقين مع روح الأنبياء وأطفال العبرانيين ورُضّع الأمّهات وجمع الملائكة. يبسط البعض أجنحتهم ويمسك آخرون السَعف وغيرهم يتبعون. يقطع هؤلاء أغصاناً واولئك يحيكون الأكاليل. منهم من يحلّ الجحشَ ومنهم من يطرح ثيابَه على الأرض. غيرهم يفتح الأبواب وآخرون يُنَظّفون الطُرق. هؤلاء يُهيّئون الجحش واولئك يخبرون عن الظَفَر. غيرهم يحرّك الأغصان وآخرون يقولون للأولاد: سبّحوا الربّ أيّها الأطفال، فيجيب الأطفال: **أوصنا مباركٌ الآتي باسم الرب!** يا لها من أشياء جديدة وعجائب غير متوقّعة للعيد. الأولاد كاللاهوتيين يصفون المسيح كإله، والكهنة يشتمونه. الأطفال الرُضّع يسجدون له، والمُعلّمون يُظهرون إلحاداً. **الأولاد يُنشدون أوصنا، والعبرانيّون يصرخون ليُصلَب.!**

هؤلاء يأتون بالسَعف إلى المسيح، وأولئك يقتربون منه بالسيوف. هؤلاء يقطعون الأغصان، وأولئك يُهيّئون خشبة الصليب. الأولاد يفرشون ثيابهم للمسيح، والكهنة يُمَزّقون ثيابَ المسيح. الأولاد يرفعون المسيح على الجحش، والشيوخ يُصعدونه على الصليب. الأولاد يسجدون لأقدام المسيح، وأولئك يسمّرون قدميه بالمسامير. الأولاد يوجّهون إليه التسبيح، والآخرون يقدّمون له الخلّ. الأولاد يهدونه الإكرامَ، وأولئك المرارَةَ. الأولاد يحرّكون

السَعف، وأولئك يطعنونه بالرمح. الأولاد يسبّحون المسيح، وأولئك يبيعون الراكب على جحش.

الثور عرفَ سيّده عندما اقترب من المغارة، والشعب الجديد الذي من الأمم خضَعَ لرَبِّه، وإسرائيل وحده لم يعترف بالمسيح إلهه. القبائل المتوحّشة قَبلاً أصبحت صديقة له، والأثمة قديماً خضعوا للنّاموس، إلاّ أنّ أهل النّاموس أضحوا عاصين له. لم تهابوا الأنبياء، قتلتم الكهنة، حوّرتم ما في الكُتب، ألغَيتم ما في النّاموس، إزدريتم بالصدّيقين، أهملتم النبي موسى، ذبحتم الأنبياء، دنّستم الهيكل، هجرتم اللّه، لم تؤمنوا بالمسيح، تهاونتم بالعجائب. **لم تؤمنوا لا بلعازر ولا بالعميان الذين استناروا.** حسنٌ هذا كلّه! لكن ماذا تقولون عن الأطفال هؤلاء؟ ماذا تنظرون حول تسبيح الرُضّع؟ قولوا لي: **من الذي أنارهم؟** من الذي علّمهم ؟ من الذي أعطاهم حكمةً؟ من الذي أعطى لأولاد الأميّين الكلام؟ أليسَ هو المسيح الكلمة الذي من الأزل؟ الآن الأولادُ، الأطفال والرضّع يمسكون ثدي أمّهم بيد ويسبّحون تسبيحاً ملائكيّاً. يمسكون الثدي بيَد وبالأخرى يُحرّكون الأغصان للمسيح. الطبيعة غير النّاطقة تتكلّم لاهوتيّاً، تنطق للحال بكلام نبويّ. يقدّمون تسبيحاً ملائكيّاً هدية للّه ويصرخون: أوصنا في السماوات مبارك الآتي باسم الربّ، هو ربّنا وإلهنا الذي يأتي إلينا.

وسَط إنبلاج الفَرح والعيد أتَجرّأ وأُوَجِّه أسئلتي إلى هؤلاء الأطفال الإلهيّين: ماذا تقولون يا أولادَ اللّه المسبّحين إيّاه ؟ كيفَ توازون بأنفسكم تسبيحَ الشاروبيم؟ كيفَ وأنتم تشاهدون المسيح على الجحش كإنسان تصرخون كما يليق باللّه: أوصنّا بالأعالي؟ نعم، يجيب الأولاد باللسان الإلهيّ: المسيحُ جالس على جحش حقيقيّ لكنّه لم يبتعد أبداً عن الأحضان الأبويّة. يجلس على الجحش دون أن يُغادر الشاروبيم. هذا المتجسّد الذي لا يفارق المائتين يوجد في الوقت نفسه في السماء إلهاً حقيقيّاً سيّد كلّ العالم والأمم، رازقاً، خالقاً، مُرشداً، مُخَلّصاً الجميع. هذا هو الذي يدخل أورشليم الأرضيّة دون أن يفارق السماويّة. هذا هو مُبدِع الدهور، يأتي من الدهور مُتّجهاً نحو أبد الدهور. هو الذي وحدَه بَسَطَ السماء، يمشي على البحر كأنّه على اليبس. يلفّ البحر بالسحاب. هو الذي صوّر مفاتيح الإنسان، نظَّمَ حدود البحار، علّق الأرض على المياه، كسا الزهورَ جمالاً، بسَطَ السماء كالرداء وزيّنها بالنجوم البرّاقة. منه ترتعد الشاروبيم وتخافه السيرافيم. إيّاه تسبّح الشمسُ ويمجّده القمر. لهُ ترتّل النجوم وإيّاه تخدم الينابيع. منه ترتجف اللجج وتجزع الأعماق. لهُ تخضع وحوشُ البحار، ومنه ترتجف الشياطين.

قيامة لعازر الرباعيّ الأيام من بين الأموات

المطر يخدمه والرياح توليه إحتراماً. هو الذي أعطى لكل واحد طبيعته، أبدع الخلائق، فرزَ الرُتَب، أبدَعَ كائنات الأرض والسماء كلّها، ربّنا وإلنا له المجد والقدرة إلى الدهور. آمين.

هذا الجنس من الشياطين لا يخرج إلاّ بالصلاة والصوم

الصوم ـ بمقدار لا هو أكثر ولا هو أقل من طاقتك ـ سوفَ يُساعدك في سهرَكَ. فالآباء النُسّاك يقولون ، إنّه لا يُناسب أن نتأمّل الأمور الإلهَيّة بمعدة ممتلئة. وإن حتى أبسط الأسرار المتعلّقة بالثالوث القدّوس تظل خافية على المُتخَمين بالطعام. فالمسيح نفسه بصومه الطويل وضع لنا المثال ، حينما انتهر الشيطان وطرده بعد أن صام ٤٠ يوماً.

فهل نحنُ أفضل من المسيح؟. «وإذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه» (مت ٤ : ١١). وهاهم ينتظرون لكي يخدموك أنتَ أيضاً.

يقول القدّيس يوحنا الدرجي: إنّ الصوم يُعالج الثرثرة. الصوم مَنفَذ يؤدّي إلى الشفقة والحنوّ ، وهو حارسٌ للطاعة. الصوم يحطّم الأفكار الشريرة ، ويقتلع بلادة القلب. الصوم هو باب الفردوس. فحينما تنكمش المعدة ، يتضع القلب. والذي يصوم يُصلّي بعقل صاحٍ متّزن ، أما الشخص غير المتعفّف الذي لا يضبط نفسه في الطعام، فذهنه ممتلىء بخيالات وأفكار غير طاهرة.

الصوم تعبير عن الحبّ والتكريس للربّ ، وفيه يُضَحّي الإنسان بالمُتَع الأرضيّة لأجل الشبع السماوي. فقدرٌ كبيرٌ جدّاً من أفكار الإنسان تنشغل عادة بالإهتمام بالطعام وبإغراءات أنواع الأطعمة ومذاقاتها. ولذلك فإنّ الإنسان يحتاج أن يتحرّر من هذه الإغراءات . ولذلك فالصوم هو خطوة على طريق التحرّر ، وهو سَنَد لا غنى عنه في الكفاح ضد الرغبات الأنانيّة. فالصوم مع الصلاة ـ هو واحد من أعظم الهبات التي أُعطيت للبشريّة، والذين اختبروه مرّة يتعلّقون به بحرص وعناية.

وأثناء الصوم يتزايد الشكر نحو ذلك الذي قد أعطي إمكانيّة الصوم للبشريّة. الصوم يفتح الطريق للدخول إلى مجال لم يسبق لك أن رأيته أو حتى لمحته ؛ فتعبيرات الحياة وكل الأحداث التي حولك والتي في داخلك، كلّ هذه تكتسب إستنارة جديدة، ومرور السّاعات السريع يكتسب وضوحاً غنيّاً متسعاً للهدف الذي تحيا له. وبدلاً من السهر ذي الأفكار الغامضة المعتمة تحصل على سهر مملوء بالوضوح والإشراق ، والفحص والتفتيش المنزعج القلق يتحوّل إلى قبول أو رضا هادىء بشكر واتضاع. والمشاكل التي تبدو ضخمة ومُركّبة تفتح أعماقها مثل كؤوس الزهور الناضجة؛ لأنّه بالصلاة، والصوم، والسهر متحدين معاً، نقرع على الباب الذي نريد أن نراه مفتوحاً.

ما هو عملك؟ أيّها الراعي ...

فجأة وجدت شاه من قطيع الغنم نفسها بين أنياب أسد مفترس .. هل لها من نجاة؟ وحتى لو كانت لها نجاة فمن يحميها من الدبّ الذي يقف متربصاً بها. لَقَد أُغلقَت أمامها أبواب الأمل ولم يَعُد أمامها سوى الإستسلام لموتٍ مُحَقّق.

ولكن في اللحظة الحاسمة التي تفصل بين حياتها وموتها إذ **براعيها الأمين** يهجم على الأسد والدبّ ويقتلهما معاً. لقد أنقذها من بين أنياب الأسد المفترس وخلّصها من الدبّ الكاسر. وانزاحت عن تلك الشاة الظلمة المرعبة ووجدت نفسها في أحضان راعيها المُحب.

إنّها قصّة جميلة ورائعة سجّلها لنا الوحيّ الإلهيّ في سفر صموئيل الأوّل: «فقال داود لشاول: كان عبدك يرعى لأبيه غنماً فجاء أسدٌ مع دُب وأخذ شاة من القطيع فخرجتُ وراءه وقتلته. وأنقذتها من فيه. ولما قام عليّ أمسكته من ذقنه وضربته فقتلته. قَتَلَ عبدَك الأسد والدّبّ جميعاً» (١صم١٧: ٣٤-٣٦).

يا رُعاة الكنائس:

هل ترعوا الرعيّة وتسهرون عليها ولا تتركون خروفاً واحداً ليخطفه الذئب بل تكونوا مستعدّين أن تفتدوه بأنفسكم.

أيها الخادم (الأمين):

ما هو عملك؟ إنّه سؤال سأله الملاّحون ليونان النبيّ: «ما هو عملك» (يونان ١: ٨).

وهو موجّه لكل خادم نَسيَ واجباته وإلتزاماته في الخدمة «ونام نَوماً ثقيلاً» (يونان ١: ٥) مثل يونان.

إنّها كلمة عتاب لنا جميعاً. لكي نراجع أنفسنا. **ما هو عملك؟**

ألم يكُن عملك هو أن تُطعم المسكين وتسند الضعيف وتحامي عَن الأرملة واليتيم. ألَم يكُن عملك هو أن تُشبع الخراف من التعاليم الحيّة وترويها بمعرفة القدّوس ومحبّته.

ألم يَكُن عملك هو أن تكون قُدوة للخراف في العفّة والطهارة والقناعة وإنكار الذّات.

ألم يكُن عملك هو أن تصحو وتسهر على سلامة الرعيّة وتقودهم إلى المراعي الخضراء والجداول العذبة.

يا ليتنا نعرف ما هو عملنا قبل فوات الأوان وقبل أن نسمع الصوت الإلهيّ في اليوم الأخير: «المريض لم تُقوّوه والمجروح لم تُعصّبوه والمكسور لم تجبروه والمطرود لم تستردّوه والضّال لم تطلبوه. تشتّتَ غنمي ولم يكن من يسأل أو يُفتّش» (حزقيال ٣٤: ٤،٦).

إنّها لكارثة كبيرة عندما يكون الرعاة لاهين بشؤونهم الخاصّة لدرجة أنّهم **لا يدرون ولا يريدون أن يدرون** أنّ خرافهم شاردة.

إن كان لابدّ لكل مسيحي حقيقي أن لا يهتم للغد (مت٦: ٣٤) ولا ينشغل بالأمور الأرضيّة، فكم بالحريّ الكهَنة وخدّام الكلمة الذين أرسلهم الربّ كمعلّمين للعالم كلّه.

فيجب عليهم أن يتحرّروا من كلّ إهتمام أرضيّ حتى لا ينشغلوا إلاّ باهتمام واحد وهو تعليم البشارة الحسنة. بل وحتّى الإهتمام بالتعليم قد حرّرهم الربّ من هذا الإهتمام أيضاً بقوله: «لا تهتموا كيف أو بما تتكلّمون لأنّكم تُعطَون في تلك الساعة ما تتكلمون به. لأنّ لستم أنتم المتكلّمين بل روح أبيكم الذي يتكلّم فيكم» (مت ١٠: ١٩،٢٠).

إنّ من يُكرّس نفسه لخدمة الربّ يرتفع فوق الأرض والعالم بكل ما فيه من إهتمامات.

إنّ عَمَلَ الكاهن أو الخادم الرئيسي هو سحب كل قلب نحو السماء مترقّباً بفرَحٍ شديد اللقاء مع الرب وجهاً لوجه. هذه هي الصورة التي يجب أن يتحلّى بها الرعاة لكي يشهدوا للحقّ ... يجب أن ترتفع قلوبهم وتحلّق نفوسهم في السماويّات. وتنفتح بصيرتهم الداخليّة على أرض الأحياء وسكّانها وأمجادها.

بهذا يختبرون عربون الميراث الأبدي فيقدّموا لرعيّتهم من الخيرات التي نظروها واختبروها بأنفسهم.

حقّاً إن بَقِيَ الراعي مغموساً مع رعيّته في الإهتمامات الأرضيّة والمطالب اليوميّة ولم يرتفع فوقها فكيف يسحب قلوب شعب اللّه إلى السماويّات، ويُقدّم لهم الأبديّات.

لذلك يجب على الرعاة أن يكونوا زاهدين في أمور هذا العالم الباطلة.

إنّ اللّه لم يسمح للكهنة واللاويين قديماً أن يكون لهم نصيباً مع إخوتهم في الأرض حتى يكون اللّه هو نصيبهم فلا **يرتبكون** في الإداريّات والماديّات بل ينشغلون باللّه وحده والخدمة التي إئتمنهم عليها.

ما أصعب على اللّه أن يرتبك الكهنة بالأمور الماديّة حتى وإن كانت خاصّة بالكنيسة. إنّه ينبغي عليهم أن يتمثّلوا بالرسل الذين تركوا خدمة الموائد للشمامسة ليتفرّغوا هم للصلاة وخدمة الكلمة (أع٦: ١-٤).

الكاهن الأمين على وزناته سيسمع من الربّ الديّان: **كنتَ أميناً في القليل فأقيمك على الكثير أدخل إلى فرح سيّدك.**

ربح النفوس
أعظم من ربح الفلوس

أحد القديس توما

تعليق للقدّيس كيرللس الإسكندري

يخبرنا الإصحاح العشرون من إنجيل يوحنا الأعداد من ١٩-٢٤ عن أنّ الربّ القائم من الموت قد ظَهَرَ لتلاميذه لكن في غياب واحد منهم وهو توما المدعو "التوأم" (مر٣: ١٨) (مت١٠: ٣) (لو٦: ١٥) (يو١١: ١٦). وعندما أخبره بقيّة التلاميذ فيما بعد، أنّهم قد رأوا الرب (يو٢٠: ٢٥). قال لهم توما: «إن لم أُبصر في يديّه أثر المسامير وأضع إصبعي في أثَر المسامير وأضع يدي في جنبه لا أومن» (يو٢٠: ٢٥). هذا الموقف المتشدّد في طلب توما، يشرحه آبائنا وكتّابنا الكنسيين بالآتي:

١ - لقد استحوذت على توما الرغبة الشديّدة في أن يرى الربّ القائم من بين الأموات، ولذا عندما سمع من التلاميذ الآخرين أنّه قد ظهَرَ لهم، لم يكن هذا القول كافياً لإرضاء رغبته القويّة وأصرّ على أن يرى بنفسه يسوع القائم. لقد أظهَرَ عدم الإيمان، لأنّه أراد التمتّع برؤية القائم من بين الأموت.

٢ - (أ) كل الأحداث الفائقة الطبيعة، وبالذّات هذا الحدث لقيامة الربّ، يَصعُب تصديقها بالعقل البشري (أنظر ١١: ١٤-١٦).

(ب) الإنسان عادة لا يؤمن تحت تأثير ضغوط أو إجبار بل يقاوم ويرفض من البداية. فالإيمان يحتاج إلى حريّة وإرادة شخصيّة.

من ثمّ لهذين السببين السابقين لم يقبل توما إعتراف بقيّة التلاميذ برؤية الربّ.

(ج) وربما قال توما هذا الكلام، لأنّه ظنّ أنّه قد فقد تماماً الفرصة في رؤية السيّد القائم، والذي اشتاق إلى رؤيته بحرارة بالغة. وهكذا صارت نفسه حزينة وغير متعزيّة لأنّ فَرَحها وراحتها كانا متوقفان بالذّات وفقط على رؤية الرب.

(د) لقد آمن توما، في أعماقه، أن الربّ بطبيعته هو الحياة (١٤: ٥-٦). ومن ثمّ فإنّه سيقوم مُبطلاً الموت والفساد. ولذا عندما عَلِمَ من بقيّة التلاميذ أنّ الربّ قام وصارَ مرئيّاً لَهُم، فَرِحَ كثيراً، وأراد أن يُكَمِّل فرحته بالرؤية المُفرِحة للقائم من بين الأموات.

٣ - عندما ظَهَرَ الربّ القائم للتلاميذ، في غياب توما، هو بنفسه وبمبادرة خاصّة منه لكي يُفرحهم، أظهَرَ لهم علامات الصّلب المرئيّة. وبالتّالي فإنّ توما بسبب غيابه ولأنّه مساوي لبقيّة التلاميذ، طالبَ بـ "حقوقه" أي أن يرى هو أيضاً الربّ القائم وأن يلمسه.

٤ - حدَث القيامة ربّما اعتُبِر من قبَل توما أنّه غير ممكن بل ومن المستحيل (أنظر ١١: ١٤-١٦). لهذا لم يَقل فقط «أن أبصر في يديه أثر المسامير» بل وأضاف «وأن ألمس بإصبعي أثر المسامير . . . لا أومن».

٥ - لذلك نرى أنّ القدّيس يوحنّا الإنجيلي لم يحتفظ لنا بهذه الحادثة "المُخجلة" لتوما، لكي يقلّل من مكانة زميله في التلمذة وأخيه في الرسوليّة، بل لَكي يوضح لنا كيف كان الأيمان بالقيامة وقبولها - في ذلك الوقت - صعبٌ جداً حتى ولو كانت هذه تخصّ الربّ نفسه. ونضيف على هذا أن القدّيس متى البشير يذكر أن تلاميذ آخرين، كانت لديهم شكوك في قيامة الربّ (أنظر متى ٢٨: ١٧).

من ثمّ فإنّ عدم الإيمان الذي ظَهَرَ أولاً من توما:

أ - لم يحدث لكي يُقلّل من قدر توما كتلميذ، لأنّ الربّ عَرَفَ رغبته الصالحة، لكنّه حدَثَ لكي يصير توما قويّاً جداً في خدمته الرسوليّة ويكرز بكل ما رآه وسمعه.

ب - حدَثَ هذا الموقف بحسب التدبير الإلهيّ، لكي نعلم جميعاً - بواسطة توما، أنّ الجسد الذي عُلِّقَ على خشبة الصليب، وعانى الموت، هو ذاته الذي قام.

ج - لكي يؤكّد لنا أن جسد قيامة الربّ هو جسد حقيقي وليس خيالاً.

د - كان مُفيداً جداً لنا، لأنّه بسبب عدم الإيمان هذا، كسبنا نحن وورثنا التطويب: «طوبى للذين آمنوا ولم يروا» (يو ٢٠: ٢٩).

ولنعود الآن إلى الحدث بالتفصيل:

من بعد مرور ثمانية أيام، من أول ظهور الرب لتلاميذه، أي في يوم الأحد التالي لأحد القيامة مباشرة. أظهَرَ الربّ نفسه وللمرّة الثانية أمام عيون التلاميذ وكان توما معهم في هذه المرّة الثانية. ويجب أن نسجّل هنا أنّ الربّ ظهر، عندما كان التلاميذ أيضاً مجتمعين، والأبواب كما كانت في الظهور الأوّل مُغلقة (أنظر يو ٢٠: ٢٦)، بل والأكثر من هذا، أنّه عندما ظهَرَ وقفَ أيضاً في وسطهم، وقال لهم «سلامٌ لكم». وبعد ذلك توجّه بالحديث إلى توما وقال له: «هات إصبعك إلى هنا وابصر يديّ. وهات يدك وضعها في جنبي ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً» (يو ٢٠: ٢٧). هكذا ظَهَرَ الربّ من جديد، وحلّ مشكلة عدم إيمان التلميذ، وحقّق له رغبته (أي أن يراه). وليس هذا فقط، بل وظهَرَ بالرغم من أن الأبواب كانت مُغلقة وذلك لكي يجعل للمرّة الثانية، الإيمان بقيامته - غير المُصدّق - ممكناً بذلك الظهور المعجزي.

ومن جانب آخر نرى أنّ الربّ قد استخدم نفس الكلمات بالضبط التي تفوّه بها توما أمام التلاميذ. (أنظر يو ٢٠: ٢٥). وهذا يعني أنّه عندما نَطَقَ توما بهذه الكلمات كان الربّ حاضراً هناك حتى ولو لم يكن مرئيّاً. وها هو الآن ـ في هذا الظهور ـ نراه لا يلوم تلميذه ويوبّخه على عدم تصديقه لخبر القيامة، بل يتصرّف معه بأسلوب لطيف غاية اللطف، إذ قَبِلَ كلّ مطالب توما وأخضعَ جسَده، الذي ترتعب منه القوّات الملائكيّة، لرؤية عيون توما ولمس أصابعه. وهكذا احتفظ الربّ بعلامات الصليب والموت ظاهرة في جسده، لكي تكون دليل دامغ لنصرة الحياة على الموت.

إذن ماذا كان وقع كلمات الربّ على توما عندما سَمِعَ فيها الربّ يكرّر على مسامعه طلباته بدقّة؟

الباحث إشماكنبرج يجيب على هذا السؤال بالإيجاب ويكتب أن توما أطاع أمر الربّ ولمسَ بأصابعه آثار المسامير في يدي الربّ، ووضع يده في جنب الربّ وتحسس مكان الطعنة.

وموضوع ظهور الربّ لتوما هذا يثير تساؤل حول قول الربّ لمريم المجدليّة عند ظهوره لها: «لا تلمسيني». (أنظر يو ٢٠: ١٧).

يشرح القدّيس كيرللس الإسكندري هذا الموقف بقوله:

«من جانب مريم المجدليّة، فإنّ الربّ لم يتركها تلمسه ليس بالطبع ـ كما يظنّ البعض ـ حتى لا يتدنّس بلمستها ويظلّ محتفظاً بنقاوته عندما يصعد إلى الآب، فطبيعة اللّه لا يمكن أن تتدنّس أبداً. ولكنّه لم يتركها أن تلمسه لأنّها لم تكن قد أخذت بعد الروح القدس الذي يجعلنا أطهاراً ومستحقّين للمس جسده المقدّس. أمّا من جانب توما فقد سَمَحَ له السيّد بلمس جسده، لأنّ ذاك قد أخذ الروح القدس، وذلك عندما ظهرَ السيّد للمرّة الأولى للتلاميذ ووهبه للكل، فتوما لَم يُحرَم بسبب غيابه لأنّ كفاية المانح غير محدودة. «لأنّه ليس بكيل يعطي اللّه الروح» (يو٣: ٣٤). وحادث مماثل لهذا يوجد في العهد القديم وذلك عندما أمر الربّ موسى الحكيم أن يختار سبعين شيخاً من جماعة اليهود، وصرّح أنّه سوف يأخذ من الروح الذي على موسى ويضع عليهم. وأطاع موسى وأحضرهم إلى خيمة الإجتماع إلاّ رَجُلَين تخلّفا عن الحضور وكانا في المحلّة وهما ألداد وميداد، لكن اللّه وضع عليهم الروح الإلهيّ، كما وعد وأخذ الكل النعمة، الذين كانوا في خيمة الإجتماع مع موسى وكذلك الإثنين اللذين تخلّفا، الكلّ تنبأوا (أنظر عدد ١١: ٢٤-٢٩). (أقوال القدّيس كيرللس الإسكندري).

لكنّ الموضوع الجدير بالإندهاش والمستحق كل إعجاب هو: كيفَ كان من الممكن لجسد الربّ القائم ومن ثمّ غير الفاسد أن تظهر فيه علامات الصلب (الجراحات)؟

يجيب أيضاً القدّيس كيرللس الإسكندري على هذا السؤال الصعب بالآتي: قبلَ أي شيء آخر يجب أن نؤكّد أنّه في القيامة لَن يكون فينا أي جروح أو علامات أو آثار للفساد، لأنّ بولس الحكيم يقول: «يُزرَع في فساد ويُقام في عدم فساد، يُزرَع في هوان ويُقام في مجد، يُزرَع في ضعف ويُقام في قوّة» (١كو١٥: ٣٢-٤٣). فالجسد سوفَ يقوم في مجد وقوّة، وسوفَ يعود إلى جماله القديم، إلى حالة الخلق الأولى غير الفاسدة لأنّه لم يُخلَق للموت والفساد. ولكن لأنّ توما طَلَبَ أن يرى الجروح، أي طلبَ هذا البرهان بالذّات. ولذا لكي يكمّل الرب إيمانه ظهر بالشكل الذي رآه توما.

القدّيس كيرلس الإسكندري
كنيسة خورا للروم الأرثوذكس
في مدينة القسطنطينيّة

وإجابة أخرى على نفس السؤال يقدّمها لنا الكاهن أمونيوس الإسكندري من القرن الخامس يقول فيها: الربّ أظهرَ نفسه لتوما وبجسده آثار الجروحات وسمح لتلميذه أن يلمسه، وهذا يدلّ على تنازل منه لأنّه على الرغم من أنّ جسد القيامة هو جسد روحاني خال من كل ما هو ماديّ، إلاّ أنّه ظهرَ بهذه الطريقة لتوما وذلك لكي يقتنع تلميذه أن هذا الجسد هو حقيقة جسد الربّ الذي صُلِب.

رأينا سابقاً أن توما بعد ظهور الرب له وسماعه لكلماته على فم الربّ، أبعد جانباً الشكّ من قلبه، وبإيمان صادق وفرح لا يُنطَق به اعترف قائلاً: «ربّي وإلهي». واعتراف الإيمان هذا من جانب توما:

أ ـ كان هو بالتحديد نفس الإعتراف الذي يُقَدّم من إسرائيلي إلى اللّه يهوه.

ب ـ إعتُبِر الإعتراف الأوّل الجهري بألوهة المسيح من بعد قيامته.

ج ـ أعلن تحقق التلميذ من قيامة الربّ وذلك بعد أن رأى علامات موت الصليب في جسده.

د ـ أكّد على وجود اللاهوت والنّاسوت متّحدين في شخص المسيح الواحد.

هـ ـ وأخيراً كان لهذا الإعتراف قيمته العظيمة، إذ قَبِلَه الربّ، ودل قبوله هذا على أن تلميذه لم يكن غير مؤمن، لكنّه ببَساطة أراد أن يرى هذا الذي آمن به.

وأخيراً نضيف بعض الأفكار المستوحاة من موضوعنا:

١ – كون أن الربّ القائم من الموت قد ظَهَرَ في وسط التلاميذ، في غياب توما. (أنظر يو٢٠: ١٩). وفي حضور توما. (أنظر يو٢٠: ٢٦ و لو٢٤: ٣٦). هذا يعني أنّه لا يوجد تلميذ أكبر وآخر أصغر لدى الربّ، فالكلّ أمامه متساوون. بل والأكثر من هذا أنّه بظهوره هكذا في وسطهم قد كرّمهم هو بفسه وأيضاً بالتساوي. (أنظر متى ١٨: ٢٠).

٢ – حفَظَ لنا القدّيس يوحنا الإنجيلي هذه الواقعة الخاصّة بتوما، ومثلما حفَظَ لنا القدّيس لوقا الواقعة الخاصّة بتلميذي عمواس. (أنظر لو٢٤: ١٣-٣٥). وكل واقعة من هاتين الواقعتين تتميّز:

أ ـ بالظهور الخاص للربّ القائم من الموت، هناك لتلميذَين، وهنا لتلميذ.

ب ـ بالعتاب لأنّ الثلاثة تردّدوا في تصديق قيامة الربّ (أنظر لو ٢٤: ٢٢-٢٤، ٣٥ و يو ٢٠: ٢٥، ٢٧، ٢٩).

٣ – لقد رَغبَ توما أن يرى ويلمس ويسمع الربّ يسوع، أي رَغبَ في الوجود الوقتي والمكاني ليسوع معه. لكن خطّة اللّه هي أعلى بكثير من فكر البشر، فهو يُريد أن يكون موجوداً مع كلّ واحد منّا في كل مكان وفي كل زمان.

٤ – البعض يمرّون في حياتهم بالشّك أو بالتشكّك في إيمانهم. فإذا شككت فاستفد من هذا الشكّ بأن تُعمّق إيمانك بمواصلتك البحث عن الإجابة.

٥ – إنّ جسد قيامة الربّ يسوع نوع خاص فريد متميّز فهو لم يَعُد خاضعاً لنفس قوانين الطبيعة كما كان قبل موته، بل أصبح ممكناً له الدخول والأبواب مغلّقة. إلاّ أنّه لم يكن شبحاً أو طيفاً أو خيالاً، فقد كان ممكناً لمسه. فلقد قام الربّ بجسد روحاني أي جسد حقيقي وليس خيالي.

٦ – يظن البعض أنّهم سيؤمنون بيسوع كرب لو رأوا علامة معيّنة أو معجزة محدّدة. أما يسوع فيقول: «طوبى للذين آمنوا ولم يروا».

غذاء الروح

وقَفَ أحد الوعّاظ في (سيتي تمبل) بلندن على المنبر وتَرَكَ الكتاب المقدّس مُقفلاً أمامه ثم قال:

(عابَ عليَّ البعض أنّي شديد التعلّق بالكتاب المقدّس ولأنّي أورد الشواهد الكثيرة منه ولا أتحوّل عنه، ويطالبونني بأن أكون عصرياً وأورد في عظاتي أشياء علميّة، وفي هذا الصباح سأجيب مطلبكم وأكلّمكم عن العلوم).

ثم قال: ها أرملة مسكينة واقفة أمامنا فقدت إبنها الوحيد وتُريد أن تعرف إذا كان هناك رجاء في اللقاء به. فهل يُعطينا العلم الجواب؟

ثم قال: ها أنا أترك الكتاب المقدّس جانباً. ثم وضَعَ الكتاب المقدّس على المقعد الخلفي وقال: هل ترى هذه الأرملة إبنها مرّة ثانية؟ وأينَ هو الآن؟ ماذا يقول العالم ؟

قال هذا وصمتَ طويلاً ثم قالَ: (إذاً فلنأخذ الكتاب المقدّس) وأعادَ الكتاب المقدّس إلى مكانه **فوق المنبر** ثم قرأ: «أنا ذاهبٌ إليه وأما هو فلا يرجع إليَّ» (٢ صم ١٢: ٢٣).«هذا الفاسد لا بدَّ أن يلبس عدم الفساد وهذا المائت أن يلبس عدم الموت» (١ كو ١٥: ٥٣).«أين شوكَتُكَ يا موت أين غَلَبَتُك يا هاوية» (١ كو ١٥: ٥٥). ثمّ طوى الكتاب المقدّس باحترام ، وقال: (إذاً فلنتمسّك بالكتاب المقدّس ونسعى للأبديّة).

إنّ الكتاب المقدّس يبدأ بما لا يسجّله التاريخ العالمي، بداية العالم والزمان والخَلق وتاريخ الشعوب. وينتهي بما لا يعرفه العالم، نهاية الكون والأبديّة والخلود خلف آفاق الزمن.

وفي كلّ ذلك له هدف واحد هو مجد اللّه وخلاص الإنسان.

لا يوجد دليل على إنهيار الحياة الروحيّة أقوى من إنعدام الشهيّة لكلمة اللّه. فأذكر أيّها الحبيب أنّ **نُموّك** يتوقّف على **التغذية** بكلمة اللّه.

لا تقرأ الكتاب المقدّس لأنّك تريد أن تفعل ذلك، بل لأنّه لازم لحياتك. فكلام الحياة هو **غذاء الروح**. يا له من كتاب عظيم.

أيّتها الأيدي إلمسيه. أيّتها العيون تأمّلي وصاياه. أيّتها الآذان إسمعي تعاليمه. أيّتها الأفواه تذوّقي كلامه.

الكتاب المقدّس هو رسالة إليك من السماء مكتوبة بدم الحمل تعبيراً لحبّه لك.

الزنجي المرفوض

ذَهَبَ زنجي أمريكي إلى كنيسة من كنائس البيض وطَلَبَ من راعيها أن ينضمَّ إلى شعب الكنيسة ويكون عضواً فيها.

فارتبك الراعي لطَلَب الزنجي ، تحيّر إذ كيفَ يرفض قبوله والمسيح يقول: «من يُقبل إليَّ لا أخرجه خارجاً» (يو٦: ٣٧).

وكيفَ يقبله .. والكنيسة لا تقبل إلاّ البيض في عضويتها ولكي يُخرج نفسه من حرج الموقف قال للزنجي: دعنا نُصلّي ونتقابل فيما بعد لنرى ماذا يقول لنا المسيح!؟ ففهم منه الزنجي أنّه رَفَضَ طلبَه وخرج من الكنيسة متألّماً جداً ولم يَعُد إليها مرّة أخرى لمقابلة الراعي.

وذات يوم وبمحض الصدفة تقابَلَ الإثنان معاً في الشّارع. فأراد الراعي أن يُغطّي موقفه الأوّل فقال للزنجي: لماذا لم تحضر إليَّ مرّة أخرى .. ألَم نتّفق على المقابلة ثانية بعد أن نُصلّي ؟

أجابه الزنجيّ: لقد صليّت وسمعت الجواب.

الراعي: وماذا قالَ لكَ المسيح؟

الزنجيّ: « قالَ لي لا تحزَن. فأنا واقف على باب هذه الكنيسة منذ عشر سنوات دون أن يسمح لي أحد بالدخول فيها».

إنّها صورة دقيقة لما يحدث في عالمنا الحاضر إنّ الكنيسة التي كان ينضم إليها الأعداد الوفيرة في أيّام الإضطهادات وفي عصور الإستشهاد نجدها اليوم يخرج منها الكثيرون ويرتدّون وليسَ من يسأل أو يفتّش عن هذه الخراف الضّالة.

ولعلّ السبب في أنّ أغلب الذين تركوا الكنيسة ولم يعودوا يدخلونها هو أنّهم لم يجدوا من يقبلهم ويحتضنهم ويرعاهم في داخل الكنيسة. إنّ المسيح ينظر إلينا من السماء ويقول: «غطّى الخزي وجهي من **سفرائي في الأرض**. هل ردّوا الضّال. وفتحوا أعيُن العميان وعلّموا البعيدين وأقاموا الساقطين؟» فلنخدم الربّ بأمانة وبدون مُحاباة لأنّ ليس عند اللّه محاباة.

لئلا نسمع العبارة القاسيّة:

أنفقت عمرك في خدمة بيت الربّ
فمتى تخدم ربّ البيت

العهد القديم في الكتاب المقدّس (٤)

تتمة من العدد السابق

ب - الفترة البدائيّة في قصص الشرق القديم

ملوك ما قبل الطوفان:

كانت الأعمار في الفترة ما بين آدم والطوفان ظاهرة فريدة (تك٥ :٣-٦)، وفي الكتابات السومريّة التي ترجع إلى الألف الثانية ق.م. جاء أنّ ثمانية ملوك حكموا في فترة ما قبل الطوفان في خمس مدُن كانت أوّلها مدينة (أريدو)، وتستمر القصة البابليّة حتى عبارة «ثم حدث الطوفان» حيثُ نزلت الملوكيّة في مدينة (كيش)، وحينما يذكر أسماء هؤلاء الملوك يحدّد أن حُكمهم (مع سلالتهم) دام ربع مليون سنة (حسب النصّ البابلي)، وإن كانت القصّة البابليّة تسجّل إمتداد الأعمار في هذه الفترة بصفة عامّة، لكنّ النصّ ينحني أمام دقّة التسجيل في قصّة الوحي الإلهيّ.

مُدن فجر التاريخ:

الإصحاح العاشر من سفر التكوين يذكر عن نمرود «أنّه كان جبّاراً نمرود الذي ابتدأ يكون جبار صيد أمام الربّ، وكان إبتداء مملكته بابل وأرك وأكّد وكلنة في أرض شنعار، من تلك الأرض خَرَجَ أشور وبنَى نينوى وكالح» (تك ١٠ :١٠، ١١). وهذه المُدن التي يضرب تاريخها في أعماق الزمن السحيق وقد طواها النسيان ولم نكن نعرف شيئاً حتى زمن قريب، أصبَحَ الآن لدينا معرفة عن هذه المُدُن بعد أن أكتشف جُوردان Jordan مدينة أرك (وهي أوروك أو يوروك في الوثائق البابليّة)، وتقع بالقرب من الفرات، والمدينة تهدّمت وأُعيد بناؤها عدّة مرّات، وعُثِرَ فيها على بقايا بنايات متهدّمة للمعابد ذات الأبراج، وعثَرَ فيها (وولي) على أختام من الصلصال نُقشَت عليها صُوَر وكتابة تُظهر ما كانت عليه المدينة من حضارة قديمة ورُقيّ.

وفي سنة 1846م إكتشف أوستن لايار مدينة (كالح) القديمة أثناء قيامه بالحفر في جبل نمرود على بُعد عشرون ميلاً جنوبيّ مدينة الموصل ونصف ميل شرقي دجلة، و اسم نمرود ذلك الطاغية في بداية عصر البشريّة وُجِدَ اسمه في الكتابات السومريّة وعُرِفَ بإسم مردوخ.

وفي شمال العراق إكتُشفَت مدينة (أكّد) تلك التي أسّس فيها الملك سرجون أسرة ملكيّة حَكَمَت بابل في منتصف الألف الثالثة ق.م. وأكتُشفَت آثار المدينة العظيمة (سومر) تلك التي أسّسها السومريّون في الألف الرابعة ق.م. في الجنوب من السهل الرسوبي. ويسمّيها الكتاب أرض شنعار (تك ١١ :١).

بُرج بابل:

برج بابل

في مملكة نمرود الصيّاد إتّحَد النّاس في بناء برج رأسه في السماء، فأخذوا يبنون البرج من اللبن المحروق بالنّار والحُمر وهو القار (تك ١١ :١-٩).

وإن كان العلماء لم يكتشفوا هذا البُرج بالذّات، لكن الدراسات وعمليّات التنقيب والحفر في منطقة ما بين النهرين إكتُشفَت تصميمات مشابهة لهذا البُرج العظيم، وهي بنايات ضخمة كان السومريون يشيدونها في ما قبل الألف الثالثة ق.م. في مدُنهم خاصّة في أور وسومر.

ويُطلَق على هذه التصميمات الأبراج ذات المعابد (زيجورات) Ziggurats، وتنتشر في المنطقة عدّة تصميمات وأشكال من هذه الأبراج وهي ترسم لنا صورة مُشابهة لبرج بابل.

الأبراج ذات المعابد - زيجورات

وتشترك هذه التصميمات أنّ كُلاًّ منها بناء هَرَميّ الشكل ومُدَرّج ويرتفع إلى عدّة طوابق يُصعَد إليها بواسطة درجات، وفي أعلى البناء بالطابق العلويّ يوجد المعبد حيثُ كانت تُعبَد فيه الآلهة. ويُقَدَّر إرتفاع البناء بنحو ٧٠٠ قدَم. ويُشغِل مساحة ضخمة جداً.

مُدُن الساحل:

إكتُشفَ في سنة ١٩٧٥م في مدينة إبلا Ebla السوريّة ألواح من الطينَ مُدَوَّن عليها أسماء مُدُن السهل الخمسة وهي التي ذكرها الكتاب بإسم مُدُن الدائرة (تك١٣ :١٢)، ويُرَجِّح (إلبرايت) أنّها كانت تقع في المنطقة الضحلة من الطرف الجنوبي للبحر الميّت حيثُ كان سَهلاً خصيباً يذّخر بالقرى قبل هلاكها.

وظلّت أطلال مُدُن السهل ظاهرة ويُمكن مشاهدتها حتى زمن يوسيفيوس (١٠٠ م) حيثُ ذكرَ أنّه كان من الممكن مشاهدة بقايا من سدوم وعمورة وأدمة وصوبيم وصوغر جنوبي البحر الميت، لكنها دُمّرت بسبب الزلازل وغاصت تحت مياه البحر الميّت الجنوبيّة، وفي سنة ١٩٧٢م توالت الإكتشافات وحدّدت أربع مستعمرات سكانيّة ترجع لذلك العصر الذي إزدهرت فيها مُدُن السهل (٢٥٠٠-٢٠٠٠ ق.م.) وعُرِفَت بأسماء أخرى وهي نوميريا والصّافي وفيق وخنازير، واكتَشَفَ (كيل) مدينتي سدوم وعمورة في نوميريا وعُثِرَ فيها على أواني برونزيّة نادرة مما يدلّ على ثراء المدينة آنذاك.

يتبع في العد د القادم

الحجل

الحجل طائر يُدعى في العبرية «**قوري**» ومعناه الصارخ أو الهاتف، ويظهَر هذا الإسم في أسماء مُركّبة مثل «عين هقوري» حيثُ دعا شمشون اللّه طالباً ماءً ليَشرب «فشَقَّ اللّه الكفّة التي في لحي فخَرَجَ منها ماء فشَرِبَ ورجعت روحه فانتعش» (قضاة ١٥:١٩). كما يظهر مُفرداً في أخبار الأيّام الأوّل « شلّوم بن قوري بن أبياساف» (١ أخبار ٩:١٩).

والحجلة طائر من عائلة التتراأونيديا (tetraonidae) وتُستَخدم الحجلة وبيضها طعاماً منذ أقدم العصور، وهناك نوعان في فلسطين، وهما حجلة الصخور ، وحجلة الصحراء.

١) حجلة الصخور: وباللاتينيّة أليكتوريس جراسكا (Alectoris gracca) وتعيش في نطاق واسع من البلاد، من السهول الساحليّة إلى تلال اليهوديّة الجافّة وجبال لبنان. وتتميّز بخدود بيضاء تحيط بها هالة سوداء، كما بجناحيها المخطّطين. بألوان زاهية، ويصل طولها إلى نحو خمسة وثلاثين سنتيمتراً. وهي بيضاء اللّون وظهرها أسود اللّون ، وهي قريبة الشبه في الحجم والشكل من الحجلة ذات الأرجل الحمراء (alectoris rufa) التي تعيش في جنوب غربي أوروبا والتي انتشرت انتشاراً واسعاً في كل أوربا وشمالي أمريكا.

٢) حجلة الصحراء: (ammoperdix heyi) ويصل حجمها إلى نصف حجم حجلة الصخور، وتعيش في المناطق الصخريّة حول البحر الميّت وفي صحراء النقب وفي سيناء، وتكثُر حول الواحا ت مثل «عين جدي» ، وحيثُ أنّها تعيش في المناطق الجرداء أو غير كثيفة الغطاء النباتي، فلونها أصفر رمليّ مما يصعُب معه إكتشاف أماكنها.

وأكثر ما يميّز الحجلة هو صوتها لا منظرها، وجسمها ثقيل، لذلك تضطر للعدو بسرعة حتى تكتسب سرعة يمكنها معها الإقلاع والطيران لتحط في أوّل مكان تستطيع أن تختبىء فيه، ويبدو هذا واضحاً في أوّل إشارة في الكتاب المقدّس إلى الحجلة، في قول داود وهو بالقرب من عين جدي: «كما يتبع الحجل في الجبال» (١ صم ٢٦:٢٠). فيصف داود تعقّب شاول له كتعقّب الحجل في الجبال، لسرعة جريه وصعوبة صيده، وسهولة إختفائه بين الصخور أو الأخشاب.

أمّا الموضع الثاني الذي ذُكرَت فيه الحجلة فهو: «حجلة تحضُن ما لم تَبِض محصل الغنى بغير حقّ» (إرميا ١٧:١١).تشبيهاً بالغني الذي يأخذ ما لا حقّ له فيه بالحجلة التي تحضُن بيض غيرها، إذ جاءَ عنها في بعض كُتُب المؤرّخين العَرَب أنّ الحجلة الأمّ تجمع البيض من أعشاش طيور أخرى وتحضُنها حتى إذا ما فقّس البيض، عادت الأفراخ الصغيرة إلى أُمّهاتها.

وهناك إشارة إلى الحجل في سفر حكمة يشوع بن سيراخ: «لا تُدخل كلّ إنسان إلى بيتك، فإنّ مكايد الغشّاش كثيرة. كصفة الحَجل الصيّاد في القفص صفة قلب المتكبّر وهو كراصد يرقُب السقوط، فإنّه يَكمُن مُحَوِّلاً الخير إلى الشرّ، ويصم المختارين بالنقائص» (سيراخ ١١:٣١-٣٣). وذلك إشارة إلى حبس الحجلة في قفص حتى تُنادي بصوتها فتجذب الكثير من الحجل، حتى إذا ما اقتربت تُصبح في مرمى سهام الصيّادين الكامنين لها.

حجلة الصخور: وباللاتينيّة أليكتوريس جراسكا (Alectoris gracca)

حجلة الصحراء: (ammoperdix heyi)

بار: كلمة آراميّة معناها « إبن» ، وتُستخدم بهذا المعنى في الأجزاء الأراميّة من سفري دانيال وعزرا ، ففي دانيال (٧ : ١٣) نجد اللفظ الأرامي «بارأيش» أي «إبن الإنسان» الذي إستخدمه الربّ يسوع المسيح كثيراً في الإشارة إلى نفسه . واستُخدمت الكلمة ثلاث مرّات في العدد الثاني من الإصحاح الحادي والثلاثين من سفر الأمثال، وكذلك في العدد الثاني عشر من المزمور الثاني مما يدل على دخولها إلى العبريّة منذُ زمن بعيد. أمّا في العهد الجديد فتُستخدم كثيراً مُضافة إلى إسم علَم، هو إسم الأب كما في : باراباس ، بار يشوع ، باريونا (ابن يونا) ، برنابا ، بار سابا ، بارثلماوس ، بارتيماوس . . . إلخ

للأولاد الأذكياء فقط

إجابات أسئلة العدد السابق

١ - لماذا تطلبين الحي (؟) من بين الأموات. (السيّد المسيح).
٢ - هم (؟) لم يكن العالم مستحقاً لهم. (الآباء المؤمنون).
٣ - فقال لا تبكوا. لم تمت (؟) لكنها نائمة. (إبنة يايرُس).
٤ - نحن نحبّه (؟) لأنه هو أحبنا أولاً. (الربّ يسوع).
٥ - يا سيّد لو كنت ههنا لم يمت (؟) أخي. (لعازر).
٦ - كا ميّتاً (؟) فعاش ، وكان ضالاً فوجد. (الإبن الضّال).
٧ - فقال لهم يسوع حلوه (؟) ودعوه يذهب. (لعازر).
٨ -وفي الحال بينما هو يتكلم (؟) صاح الديك. (القدّيس بُطرس).
٩ -قوموا ننطلق هوذا الذي يسلمني (؟) قد اقترب. (يهوذا الإسخريوطي).
١٠ -من هو هذا (؟) فإنّ الرياح أيضاً والبحر يطيعانه. (السيّد المسيح).
١١ - وكان وهو (؟) مفتوح العينين لا يبصر أحداً فإقتادوه بيده. (شاول الطرسوسي).
١٢ -ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي (؟) الذي يهيء طريقك قدّامك. (يوحنّا المعمدان).

أسئلة هذا العدد:

من هو صاحب السؤال ؟

١ - أين هو المولود ملك اليهود؟
٢ - شاول شاول لماذا تضطهدني؟
٣ - من أين لي هذا أن تأتي أمّ ربّي إليّ؟
٤ - حتى متى تسكرين؟ إنزعي خمركِ عنكِ؟
٥ - مَنْ تريدون أن أطلق لكم باراباس أم يسوع؟
٦ - ألم ألق ثلاث رجال موثقين في وسط النار؟
٧ - كيفَ ممكن للإنسان أن يولد وهو شيخ؟
٨ - ها أنا ماضٍ إلى الموت فلماذا لي بكورية؟
٩ - ماذا ينتفع الإنسان لو رَبحَ العالم كله وخَسِرَ نفسه؟
١٠ - أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنّة ؟
١١ - ماذا تظن. أيجوز أن تعطي جزية لقيصر أم لا؟
١٢ - أفتهلك البّار مع الآثيم عسى أن يكون ٥٠ باراً في المدينة؟

الإجابات في النشرة القادمة

قوت الحياة

ماتَ رجل وزوجته في يوم واحد وتركا ولدَين صغيرَين ولم يَكُن لهما قريب أو صديق يعتني بهما في تلك البلدة.

فذهبا إلى خالهما في (ليفربول) لعلّه يضمهما إليه، وفي طريقهما إليه نزلا في فندق ليبيتا فيه.

ولاحَظَ صاحب الفندق اهتمام الولد الأكبر بالكتاب المقدّس وتمسّكه به وحرصه عليه فطلَبَ منه أن يبيعه له مقابل بعض الشلنات.

فقال الولد: (لَن أبيعه ولو هلكتُ جوعاً لأنّي وجدتُ فيه مُخلّصي يسوع).

فرفع الرجل الثمن إلى جنيه ولكن الولد رفَضَ بيع كتابه قائلاً: (إنّه سراج لِرجلي وتعزية لضيقاتي وقوت نفسي الجائعة).

فسأله الرجل: ماذا تفعل لأخيكَ إن لم يضُمّكما خالكما في بيته؟

أجاب الولد: ﴿(إنّ الكتاب المقدّس يعلّمني «فإنّ أبي وأمّي قد تركاني وأما الربّ فقبلَني» (مز ٢٦ : ١٠)﴾.

إنّ كلام الحياة هو مصدر تعزية لقلوبنا لذلك يقول المرنّم: «هذه عزَّتني في مذلّتي لأنّ قولك أحياني.» (مز ١١٨ : ٥٠).

صديقي القاريء

ما هو الكتاب المقدّس بالنسبة لك؟

أنّه قوت الحياة لك، به تحيا وتتحرّك عندما يُدركُكَ التعب فهو معين راحتك ونورك عندما تسير في الظلام . . وخبزك عندما تجوع . . وماؤك عندما تعطش . . وسلامك عندما تخاف . . وبلسمك الشافي عندما تكون مريضاً . . ونَعْمَ الصديق المخلص في وحدتك . . . لا يُمكن أن تتوه طالما هوَ دليلك . . لا يُمكن أن تخاف الأعاصير والزوابع طالما هو ملجأك الأمين.

عليكَ أيّها الحبيب أن تبذل كل جُهدك لاقتناء الفضائل المذّخر بها كتابك المقدّس.

لا تكتَف بأن تطير شوقاً إلى هذه الفضائل وترفرف حول أنهار النعمة بل يَبغي أن تنزل إليها وتغوص فيها. إقرأ الكتاب بروح الصلاة والتأمّل.

يقول الشيخ الروحاني (القدّيس يوحنا سابا): (طوبى للنفس التي جمعت ذاتها من شرود الفكر ودخلت داخل نفسها وأغلقت أبوابها عليها وجلست تحادث الحبيب الجالس وسط تسابيح أورشليم تتمعّن في أقوال الراعي بين السوسن).

الكتاب المقدّس
هو سِرّ نجاحي ومصدر أفراحي

خالف هواك

إذا حارَ أَمْرُكَ في مَعْنَيَيْنِ ... وَلَمْ تَدْرِ حَيْثُ الخَطا والصَّوابُ
فَخالِفْ هَواكَ فَإِنَّ الهَوَى ... يَقُودُ النُّفُوسَ إِلى ما يُعابُ

لأنه هكذا احبّ الله العالم
حتى بذل ابنه الوحيد
لكي لا يهلك كل من يؤمن به

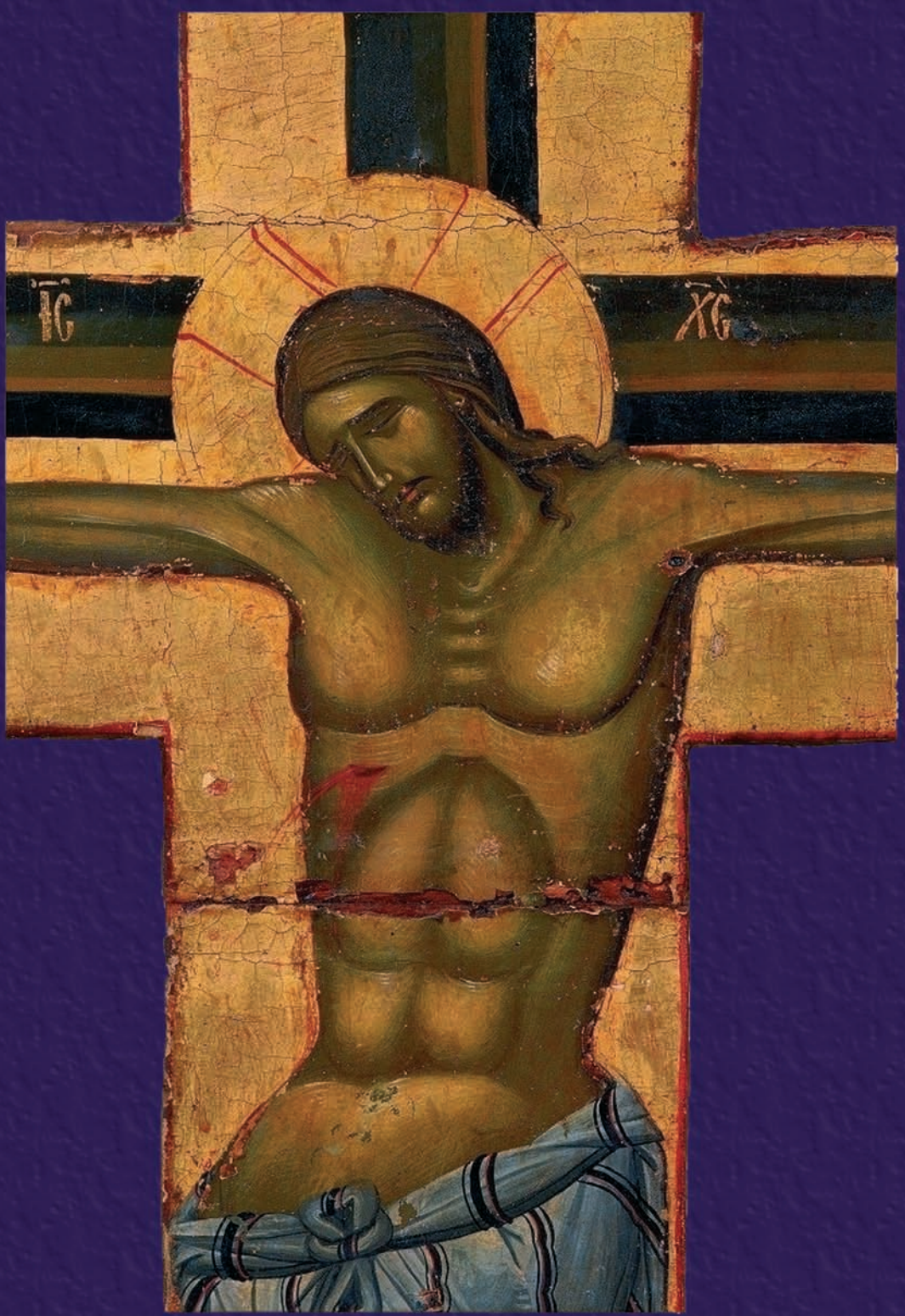

لهذا يُحبّني الآب، لأنّي أضع نَفسي لاخذها أيضاً.
ليسَ أحدٌ يأخذها منّي، بَل أضعُها أنا مِن ذاتي،
لي سُلطان أن أضعها ولي سُلطان أن آخذها أيضاً (يو10: 18-17)